

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَجْلَد  
كَلِمَاتِ الْأَدَبِ



# مجلة كلية الآداب

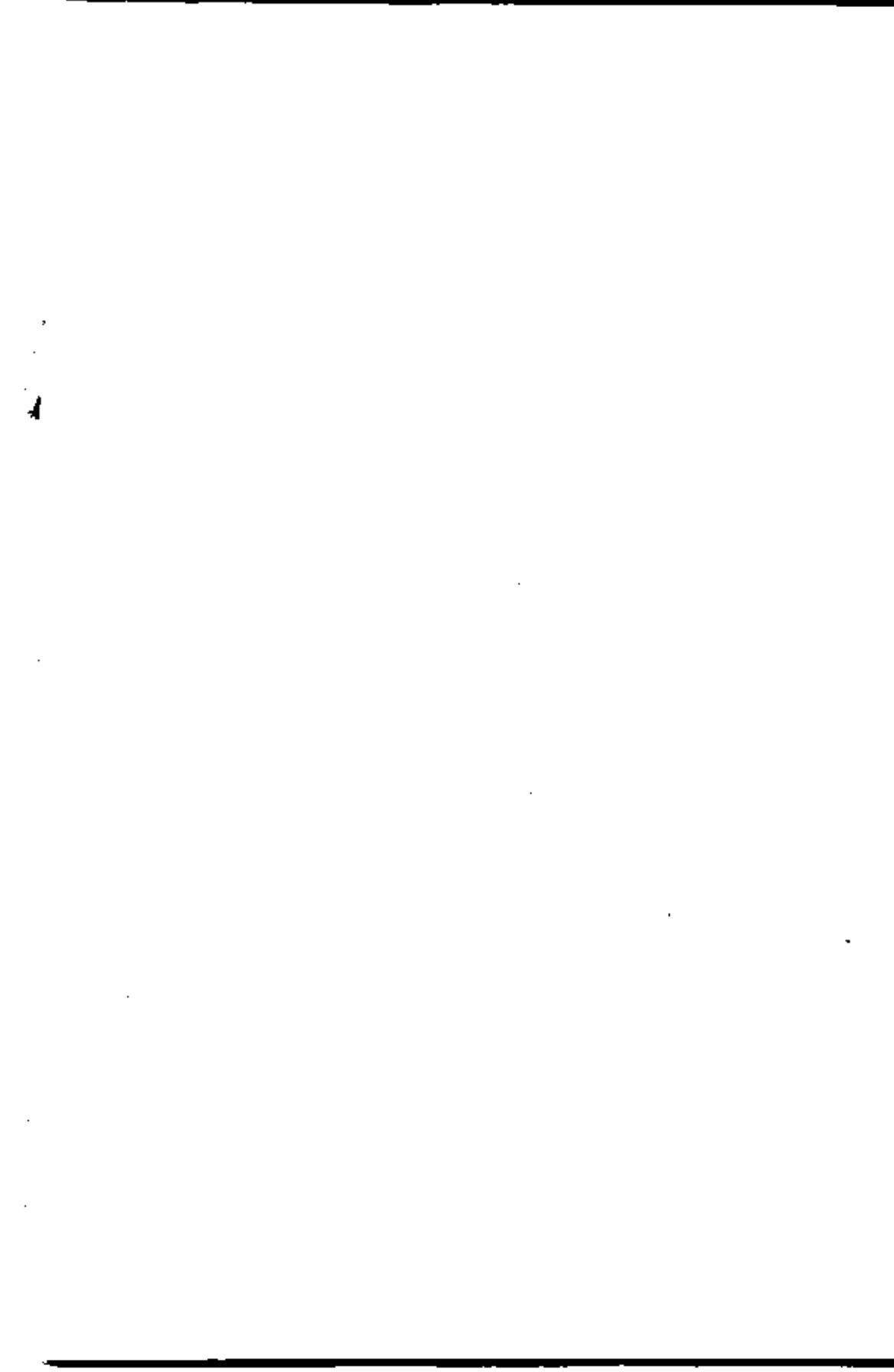


المجلد السابع والثلاثون

١٩٨٩

نطلب هذه المجلة من مكتبة كلية الآداب بجامعة الإسكندرية بالناطلي  
وتوجه المكاتبات الخاصة بالناحية الطلبة الـ  
كلية الآداب

الشؤون الفنية — وحدة الأوفست  
كلية الآداب



مجلة سنوية محكمة تصدر أول أكتوبر

هيئة التحرير

رئيس مجلس الإدارة

أستاذ الدكتور عمر عبد العزيز عمر

رئيس التحرير

الأستاذ الدكتور محمد خميس الزوكة

هيئة التحرير

الأستاذ الدكتور عبده على ابراهيم الراجحي

، ، محمد محمد حلمي هليل

، ، نبوت محمود عبد الله

، ، السيد محمود عبد العزيز سالم

، ، فتحي محمد أحمد ابو عيانه

، ، حسن محمد سيد احمد الشراوى

، ، على عبد الرازق جليبي

، ، عبد الرحمن محمد عيسوي

، ، عزيزة سعيد محمود

أدكتور فاروق احمد مصطفى عصفور

سكرتارية التحرير والتحكيم

الأستاذ الدكتور عثمان سليمان موافي

الأستاذ الدكتور احمد محمد عبد الخالق

السيد/ شمس الدين ابراهيم الكنالى

المشرف على المكبات

توجه المراسلات والأبحاث إلى :

الأستاذ الدكتور وكيل الكلية للدراسات العليا والبحوث — كلية الآداب —

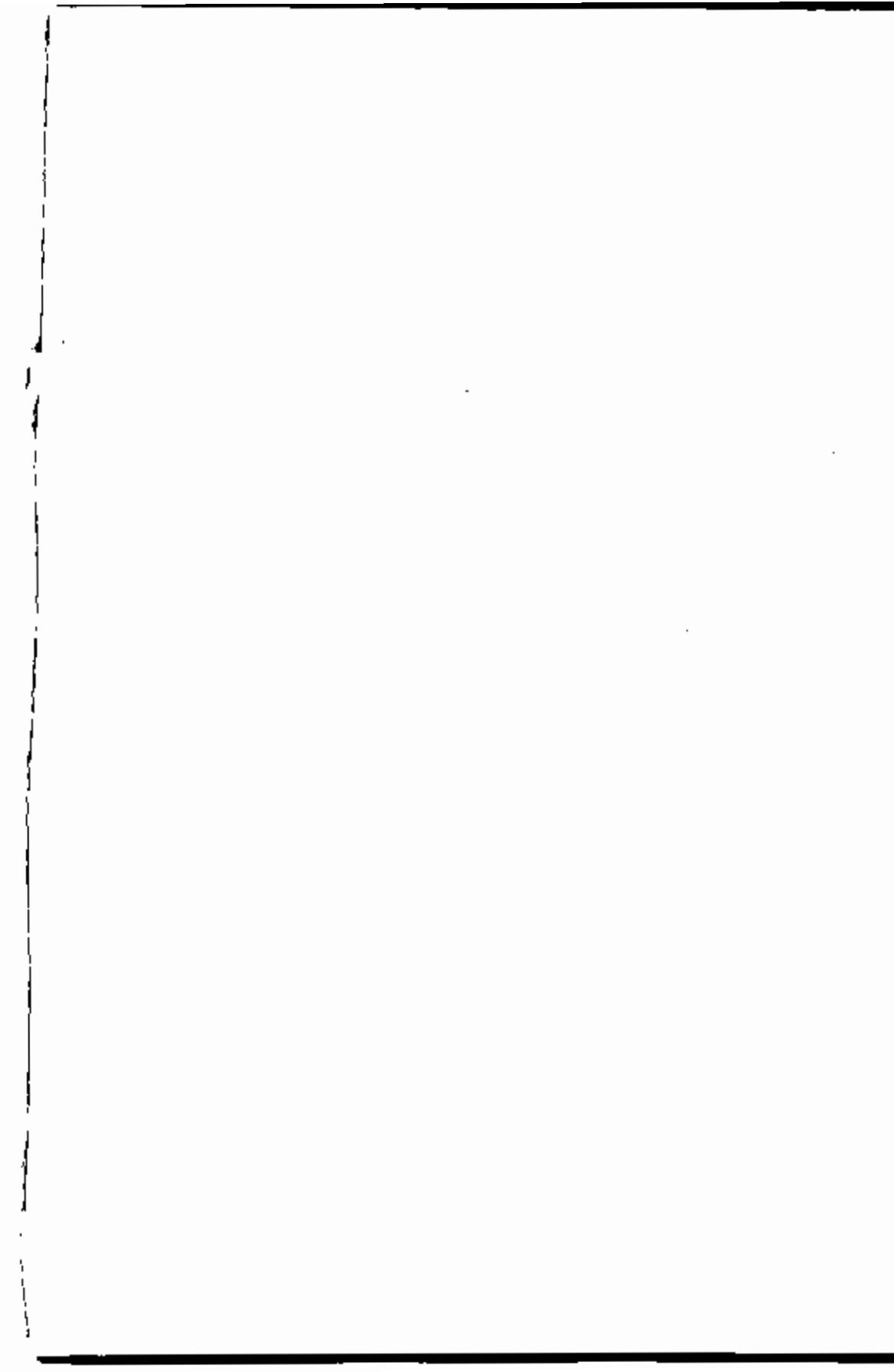
الشاطبي — ج. ٢٠٠٤

هاتف : ٤٩٣٥٧٣٧ — ٤٩٣٥٧٣٥

تلکس : 54467 UNIVY UN



رقم الصفحة	اسم الدكتور	اسم المقالة	مجلد
٩	د. حمدى عبد المنعم محمد حسين	فارس الأندلس غالب الناصرى ودوره فى حوادث المغرب والأندلس	١
٦١	د. سعد بن محمد حذيفة الغامدى	موقف المسلمين من التراث الفرعونى فى العصور الوسطى	٢
١٢٩	د. سعد بن محمد حذيفة الغامدى	جوانب من حياة المغول المعيشية	٣
١٧١	أ.د. محمد محبس الزوكة	ال عمران العشوائى فى الأسكندرية ، التوزيع الجغرافى والأعماظ	٤
٢٠٣	د. فايز محمد العيسوى	الاتجاهات الحديثة فى جغرافية السكان	٥
٢٣١	أ.د. حسن الشرقاوى	المفاهيم النفسية الأساسية فى القرآن الكريم وخطورة الإصطلاح	٦
		اثر الشئون الاجتماعية فى خصائص اللغة وتطورها بوصفها أهم وسيلة للأعلام. أ.د. على عبد الواحد واق	٧
		٢٤٥	
٢٦١	د. احمد محمد عبد الخالق	انتشار عسر الطمث وعلاقته ببعض أبعاد الشخصية لدى طالبات المدارس الثانوية من الريف والحضر	٨
	دكتورة مائة احمد النبال		
	د. عبد الفتاح محمد دويدار		
		الأمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب والحركات الاحيائية الدينية ، دراسة فى الانثروبولوجيا الدينية	٩
٢٩٥	د. فاروق احمد مصطفى	الأسس النظرية لانحراج « رسالة الغفران » على خشبة المسرح	١٠
٣٢٥	د. أبو الحسن عبد الحميد ملام		

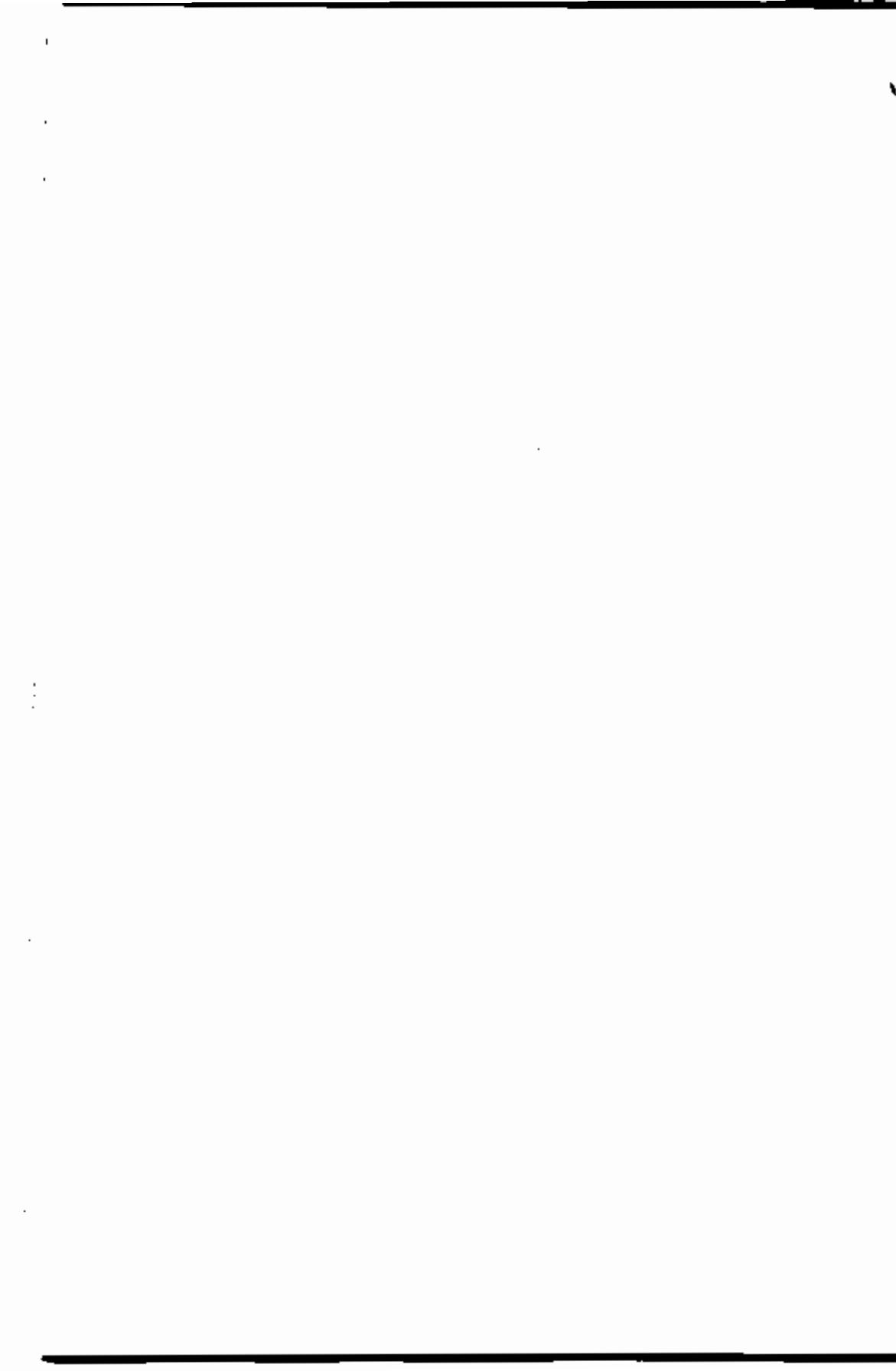


فارس الأندلس  
غالب الناصري  
ودوره في حوادث المغرب والأندلس

بحث مقدم من

د . حمدي عبد المنعم محمد حسين

مدرس التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية  
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية



لعب الموالي المروانية دوراً هاماً في إقامة الدولة الأموية في الأندلس ، فلولا مؤازرتهم والتفافهم حول عبد الرحمن بن معاوية الداخل لما تم أمره وتحقق حلمه في إحياء دولة بني أمية في الأندلس ولولا إخلاصهم له ولبنيه لما أمكن للدولة الأموية أن تؤثر وتترك بصماتها واضحة جليلة في تاريخ الأندلس إذ اعتمد عليهم بنو أمية وقلدوهم أهم مناصب الدولة ، فكان منهم الحجاب والوزراء والكتاب والقواد والقضاة وارتفعت مكانتهم بوجه خاص في عصر الخليفة عبد الرحمن الناصر ( ٣٠٠ - ٣٥٠ هـ / ٩١٢ - ٩٦١ م ) بحيث أصبحوا يلقبون بالأبناء<sup>(١)</sup> .

وكان من أبرز شخصيات الموالي المروانية في عصرى عبد الرحمن الناصر وولده الحكم المتصدر القائد غالب بن عبد الرحمن الناصرى ، إذ وصل إلى مكانة لم يبلغها قائد أندلس آخر في عصر الخلافة ، وكان الحكم المتصدر عرفانا منه يقدر هذا القائد المظفر ، قد أسند إليه القيادة العليا للجيش الأندلسية .

وأصدر مرسومه بذلك إليه في سنة ٣٦١ هـ ( ٩٧٢ م ) وذلك « تشريفا له وتنويها بذكره لحמיד غنائه وجميل مقامه »<sup>(٢)</sup> . ثم عاد الخليفة الحكم المستنصر في السابع من شعبان سنة ٣٦٤ هـ ( الثاني والعشرين من أبريل ٩٧٥ م ) : « وشرفه بما لم يشرف به خليفة من خلفاء الأندلس أميرا ولا قائدا سواه ، ولا تقدم للملك حاشاه » بأن قلده سيفين من ذخائر سيوفه وسماه « ذا السيفين »<sup>(٣)</sup> .

(١) مؤنس ( د . حسين ) : نجر الأندلس ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٥٩ ، ص ٤٠٣ وما بعدها .

Levi provençal : L'Espagne Musulmane au Xe siècle. Paris, 1932, P. 126; Histoire de L'Espagne Musulmane, 3 vols. Leiden, 1950 - 1954, Vol. III, P. 209.

(٢) ابن حيان ( أبو مروان حيان بن خلف بن حيان القرطبي ) : المقفى في أخبار بلد الأندلس ، نشره وحققه الدكتور عبد الرحمن الحصى ، بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٦٥ م ، ص ٦٩ .

(٣) ابن حيان ، المقصر السابق ، ص ٢٢٠ - ٢٢٢ .

## دور غالب الناصري في أحداث الأندلس

ورد ذكر غالب بن عبد الرحمن الناصري لأول مرة في حوادث عام ٣٣٥ هـ ( ٩٤٦ م ) ، حينما قرر الخليفة عبد الرحمن الناصر إعادة بناء مدينة سالم<sup>(١)</sup> Medinaceli من أعمال الثغر الأوسط ، وأرسل لذلك مولاه غالب الناصري في جيش كبير جرده معه من قرطبة ، كما أرسل الخليفة الناصر في نفس الوقت إل قواد الثغر الأوسط يأمرهم بالتعاون مع غالب لإعادة بنائها : « فسارعوا إلى أمره ، وبيت أحسن بناء ، ونقل إليها البنائون من مدن الثغر الأوسط لاختطاط ديارها والرباط بها » واكمل البناء في شهر صفر سنة ٣٣٥ هـ ( سبتمبر ٩٤٦ م )<sup>(٢)</sup> .

(١) مدينة سالم Medinaceli وتقع شمال ملويد بنحو ١٣٥ كيلو مترا في الطريق بين مدينتي مدريد ورسنطة . وهي الآن من أعمال مقاطعة سرية Seria ، ومدينة سالم قديما البنيان وقد عرفت في العصر الروماني باسم Oenitis ، ولما فتح العرب الأندلس ، عثر هذه المدينة سالم بن ورعمان بن وكذات بن أكله بن مقر بن مصعب بن مصمود ، وهم قبيل من البربر من بطن مصمود ويتسبون بالولاء إل بني مخروم ، ويبدو أن سالم بن ورعمان المذكور كان من كبار قواد البربر وأنه دخل الأندلس في فترة مبكرة إذ أنشأرى حفيداه هو الفرج بن مسرة بن سالم اللؤلؤ سنة ٢١٧ هـ ( ٨٣٢ م ) وهو الذي تنسب إليه مدينة الفرج أو وادي الحجارة .

عن مدينة سالم راجع :

ابن حزم ( أبو محمد علي بن أحمد بن سعد ) : جمهرة تنساب العرب ، تحقيق وتعليق عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الخامسة ، القاهرة ، ١٩٨٢ ، ص ٤٦٦ ، الأدرمي ( الشريف أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز ) : صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق . تحقيق دي غويو وغوزي ، ليدن ، ١٨٦٤ م ، ص ١٨٩ ، الحصري ( أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم الصهاجي ) : صفة جزيرة الأندلس قطعة منتخبة من كتاب الفروض المعتدل في خير الأقطار ، نشر وتحقيق ليفي بروقتسال ، القاهرة ، ١٩٣٧ م ، ص ١٦٣ ، ١٩٣ ،

Leva Provençal. Histoire, Vol. II, P. 64, n.2.

(٢) ابن عذاري ( أبو عبد الله محمد المرآشي ) : لبيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ثلاثة أجزاء ، دار الثقافة ، بيروت ، بدون تاريخ ، ج ٢ ، ص ٢١٣ ، ٢١٤ .

وكان الخليفة عبد الرحمن الناصر يهدف من إعادة بناء مدينة سالم وتحصينها جعلها قاعدة قوية للأعمال العسكرية ضد القوى المسيحية في الشمال الأيباني . ومن المرجح أن غالباً الناصري كان ما يزال مقيماً بمدينة سالم وربما كان يتقلد القيادة العسكرية على هذه القاعدة العسكرية المتقدمة فقد روى ابن عذارى في حوادث عام ٣٤٢ هـ ( ٩٥٣ م ) أن القائد أحمد بن يعلى (١) خرج غازياً إلى جليقية وعاد منتصراً بعد أن قتل الرجال وأحرق القرى وانتسف المزارع ، فقرأء كتابه بالنصر يوم الجمعة الثامن والعشرين من ربيع الأول سنة ٣٤٢ هـ ( الثاني عشر من أغسطس سنة ٩٥٣ م ) كما قرءء معه كتاب آخر للقائد غالب الناصري ، يذكر عظيم ما فتح الله عليه ومنحه من نصر على المسيحيين ، ثم دخلت رؤوس القتلى قرطبة ومعها النواقيس والصلبان (٢) .

وفي ربيع الأول عام ٣٤٤ هـ ( يوليو ٩٥٥ م ) ، أغار قواد عبد الرحمن الناصر ومن بينهم غالب الناصري على بلاد مملكة ليون ، وأنزلوا هزيمة قاصمة بقوات أردونيو الثالث ملك ليون ، هلك فيها من رجاله نحو عشرة آلاف ، فقرأء كتاب النصر بالمسجد الجامع بقرطبة ، ثم وردت رؤوس القتلى وبلغ عددها خمسة آلاف فأمر الناصر برفعها على الخشب حول سور قرطبة (٣) . فاضطر أردونيو الثالث إلى طلب الهدنة من عبد الرحمن الناصر ، فأجابه الناصر

(١) يعتبر أحمد بن يعلى من أبرز قواد عبد الرحمن الناصر وهو من أصل بربري . أنظر عن أحمد بن يعلى بن حيان ، القيس ، نشر د . بدر وشاليناود . كورنطلي والأسناد عمود صبح ، نشر المعهد الأيباني العربي لتتافة ، مدريد ، ١٩٧٩ م ، ص ٤٥٨ ، ٤٥٩ ، ٤٦٥ ، ٤٨٤ ، ٤٨٥ ، ابن الأيوبي ( أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاة ) ، الحلة السراء ، تحقيق د . حسين مؤنس ، في جزئين ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٦٣ م ، ج ١ ، ص ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٨٤ ، ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢١٠ ، ٢١٢ ، ٢١٥ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٢ ، ٢٢١ .

(٢) ابن عذارى ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢١٨ .

Levi provençal, Histoire, Vol. II, P. 68.

(٣) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢١٩ ، ٢٢٠ .

Levi provençal, Histoire. Vol. II, P. 68.

إلى طلبه ، وبعث إليه سفيره محمد بن الحسين وطيبه الخاص حسداى بن شروط اليهودى<sup>(١)</sup> ، وتمكن السفيران من اقناع اردونيو الثالث بضرورة التفاهم مع الناصر فتنازل عن عدد من الحصون وتعهد بعدم العدوان على بلاد المسلمين وعلى هذا الأساس فقط منح الناصر الهدنة . وفي العام التالي ( ٣٤٥ هـ / ٩٥٦ م ) طلب اردونيو الثالث من الخليفة الناصر ادخال فرناندو وجونثالث كونت قشتالة في اتفاقية السلام ، فأجاب الناصر إلى طلبه وأدخله في عهده<sup>(٢)</sup> .

وفي عام ٣٤٦ هـ ( ٩٥٧ م ) برز غالب الناصرى إلى فحص السراذق<sup>(٣)</sup>

(١) ولد حسداى بن شروط بمدينة جيان عام ٣٠٣ هـ ( ٩١٥ م ) ، وكان قد هاجر مع عائلته صيبا إلى قرطبة ودرس الطب ومازسه ، وقد كتبه الخليفة عبد الرحمن الناصر بأن يترجم من اللاتينية إلى العربية كتاب ديسقوريدس عن الحشائش ، وكان هذا الكتاب قد أنفه ديسقوريدس باليونانية ثم ترجمه إلى اللاتينية الراهب يقولاس ، وكان الأمير بطرس البيزنطى فستظلم السابع قد أرسل نسخة اللاتينية إلى الخليفة الناصر راجع عن كتاب ديسقوريدس سالم : قرطبة ، ج ٢ ، ص ١٦٥ - ١٦٦ ، وكان حسداى بن شروط مسئولاً عن الإدارة المالية بقرطبة في عصر الناصر . بالإضافة إلى قيامه ببعض المهام السياسية والدبلوماسية التي كان يكلفه بها الخليفة الناصر .  
عن حسداى بن شروط راجع .

ابن حيان المقبسى ، فشر شائبا ، ص ٤٥٤ - ٤٥٥ ، ٤٦٦ ، ٤٦٧ ، ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٢١ ، المقرئ ، نفع الطيب ، ج ١ ، ص ٣٤٢ ، مياهم قرطبة ، ج ١ ، ص ٦٩ ، ٧٠ ، هناك ، دولة الاسلام ، ج ٢ ، ص ٤١٧ ، أحمد مختار البادى ، في تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٢١٣ ، ٢٢٤ .

Levi provençal, Histoire, Vol. II, P. 69, 230-231

(٢) المقرئ ، نفع الطيب ، ج ١ ، ص ٣٤٢ .

Levi Provençal, Ibid. P. 68.

(٣) كان محص السراذق يقع جولى نهر قرطبة بالنظر للشرق من قرطبة . وكان في أول امره قصيرا ريفيا لتزده الأمراء الأمويون . ومن المرجح أن يكون فحص السراذق قد تحول في عصر الخليفة عبد الرحمن الناصر إلى مكان لوضع سراذق الخيفة لاستعراض الجنود قبل خروجها للمغرب ، فقد كان السراذق المنطوق قبل عصر الناصر ينصب بفحص الرقص يشقده .

راجع : ابن حيان ، المقبسى ، نشر مشور : نظوية ، ص ٩٤ ، ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ، ص ٢٠٤ ، المقرئ ، نفع الطيب ، ج ٢ ، ص ٢١ ، سالم ، قرطبة ، ج ١ ، ص ٢١٠ .

Levi Provençal, L'Espagne Musulmane au Xe siècle, P. 141, No. 1.

غازيا إلى مملكة نبره ، ونجح في افتتاح بعض حصونها<sup>(١)</sup> .

توفي الملك أردونيو الثالث وخلفه على عرش ليون سانشو الأول ، الذي رفض تنفيذ المعاهدة التي عقدها أخوه أردونيو الثالث مع الناصر ، فاضطر الناصر إلى مهاجمة بلاده بهدف إرغامه على تنفيذ المعاهدة المذكورة ، وبعث قائده أحمد بن يعلى في الجيش إلى ليون ، فغزاها ، وتوغل في أراضيها ، فاضطر سانشو أن يعقد الصلح وأن يقر ما سبق أن تعهد به أخوه . غير أن ذلك لم يرض أولي الأمر في مملكة ليون الذين اشتد استياؤهم على سانشو الأول وربما أرجعوا عجزه عن مواجهة المسلمين إلى إفراطه في السنة وعدم قدرته على ركوب الخيل ، فاجتمع رأيهم على عزله ، فعزل وخلفه أردونيو الرابع أما سانشو الأول فقد لجأ إلى بلاط جدته الملكة طوطة في نافار ( نبرة ) التي لم تتردد في اصطحابه إلى قرطبة عام ٣٤٧ هـ ( ٩٥٩ م ) وبرفقتها ابنا غرسية بن سانشو الأول ملك نافار ، مستهدفة من هذه الرحلة طلب المساعدة من الخليفة عبد الرحمن الناصر لإعادة حفيدها إلى عرش ليون ولمعالجته من السمنة المفرطة على يد أطباء قرطبة الماهرين وذلك نظير التخلي عن عشرة حصون واقعة على الحدود ، فوافق الناصر وأرسل قوة إسلامية أعادت سانشو إلى عرش مملكة ليون<sup>(٢)</sup> .

توفي عبد الرحمن الناصر في الثاني من رمضان سنة ٣٥٠ هـ ( الخامس عشر من أكتوبر سنة ٩٦١ م ) ، وخلفه ابنه وولى عهده الحكم المنتصر الذي تابع سياسة ابيه ازاء نصارى الشمال ، فعمل على التصدي لسياستهم التوسعية واستعمل في ذلك الأساليب الدبلوماسية والعسكرية معا . وكان الناصر — كما سبق أن ذكرت — قد عاون سانشو الأول ملك ليون على استرداد عرشه من منافسة أردونيو الرابع مقابل ان يسلم النصارى بعض حصون الحدود إلى

(١) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٢١ ، سالم ، قرطبة ، ج ١ ، ص ٢١٠ .

(٢) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٣٥ ، المقرئ ، نصح الطبيب ، ج ١ ، ص ٣٤٢ ،

المسلمين ، إلا أن مانشو الأول تراجع عن تنفيذ وعوده . وفي نفس الوقت وقد أردونيو الرابع على غالب الناصري لى مدينة سالم ، وصحبه الأخير إلى مدينة قرطبة ، فدخلها في أواخر شهر صفر سنة ٣٥١ هـ ( الثامن من أبريل سنة ٩٦٢ م ) ، فاستقبله المنتصر استقبالا رائعا وعندما مثل أردونيو أمام الخليفة الحكم المستنصر تضرع إليه أن يعيده إلى عرشه مؤكدا أنه ليس مثل ابن عمه مانشو الأول الذى خالف شروط الاتفاق مع الناصر وواعد بأن يضع نفسه وأرضه وشعبه تحت تصرف الخليفة المستنصر ، فأكرمه المنتصر ووعدته باعادته إلى عرشه على شرط ان يتعهد بحفظ السلام بينه وبين الخلافة الأموية وأن يترك ابنه رهينة في قرطبة ، وبمجرد أن وقع أردونيو الرابع اتفاقية الصلح وضع المنتصر تحت امرته جيشا على رأسه قائده غالب الناصري<sup>(١)</sup> .

وعندئذ تخرج مركز مانشو الأول ملك ليون وأدرك النهاية المتوقعة فجعلية رفضت أن تعترف به حتى الآن ، وبذا أنها سوف تؤيد أردونيو الرابع لو عاد بقوة إسلامية ، ثم ان الامارات الأخرى التى كانت موالية لمانشو الأول نفسه كانت لا تميل إليه ، وربما كانت تنوى التمرد عليه حتى لا تعرض نفسها للغزو الاسلامى ومن ثم فقد اتخذ مانشو قرارا ، فبعث إلى الخليفة الحكم المستنصر وقدما من كبار رجالات دولته ، يعرض عليه أن يعترف بطاعته ، ويتعهد بتنفيذ ما تنازل عنه للمسلمين من الحصون الواقعة على الحدود للناصر وهدم البعض الآخر . ولكن أردونيو الرابع ما لبث أن توفى ، مما بدد مخاوف مانشو الأول ، وجعله يطمعن على عرشه ، فقد مات منافسه ، وقرر مانشو الأول الاستعانة بحلفائه القدامى من اخوانه ملوك نيره ، وفرناندو جوثالث كونت

(١) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٣٥ ، المقرئ ، نفع الطيب ، ج ١ ، ص ٢٦٥ ،

عنان ، دولة الاسلام ، ق ٢ ، ص ٤٨٤ - ٤٨٦ ، سالم ، تاريخ المسلمين ، ص ٢٩٠ .

Dozy . Histoire . Vol. II , P. 448; Levi provençal, Histoire, Vol. II, P. 176.

قشتالة ، وكونت برشلونة وغيرهم من الامراء النصارى<sup>(١)</sup> .

وفي عام ٣٥٢ هـ ( ٩٦٣ م ) ، استنفر الحكيم المستنصر جيوش الأندلس للجهاد ، فاجتمعت إليه في مدينة طليطلة ، فاحترق أراضي قشتالة ، واستولى على قلعة شنت اشين الحصينة ، واجبر كونت قشتالة على طلب الصلح وعاد غائماً ظافراً إلى قرطبة<sup>(٢)</sup> . ويغلب على الظن أن القشتاليين نكثوا عهدهم مما جعل الخليفة الحكيم المستنصر يرسل في نفس العام قائده غالب الناصري لغزو أراضي قشتالة ، « فجمع له القشتاليون فهزمهم واستباح بلادهم »<sup>(٣)</sup> .

وفي العام التالي ( ٣٥٣ هـ / ٩٦٤ م ) سار غالب الناصري في جيش كبير ، وأتت مدينة قلهمرة<sup>(٤)</sup> من قواعد نافار الغربية ، فعمرها ، وأعتى بها<sup>(٥)</sup> . وفي عام ٣٥٤ هـ ( ٩٦٥ م ) سار غالب الناصري إلى بلاد ألبه ومعه القائلدين يحيى بن محمد التجيبي ، وقاسم بن مطرف بن ذى النون ، فأفتتح حصن غرماج على نهر دويرة على مقربة من مدينة سالم ، وكان الخليفة عبد الرحمن الناصر قد أُنترعه من الناصري في التاسع من شوال ٣٢٩ هـ ( السابع من يوليو عام ٩٤٠ م ) والظاهر أن القشتاليين بقيادة فرناندو جونزالث كانوا قد أمتثلوا عليه فيما أمتثلوا عليه من قواعد الحدود قبل أن يخرج الحكيم المستنصر

(١) ابن عدائى ، ابيان المغرب... ج ٢ ، ص ٢٣٥ . ابن خلدون ، نزهة ، ج ٤ ، ق ٤ ، ص ٣١٢ ، القرني ، فتح الطبقات ، ج ١ ، ص ٣٩٥ ، عيان ، دولة الإسلام ، ق ٢ ، ص ٤٨٦ ، سالم - تاريخ المسلمين ، ص ٢٩٠ .

Levi Provençal, Histoire, Vol. II, P. 177

(٢) ابن خلدون ، التقييد السابق ، ج ٤ ، ق ٤ ، ص ٣١٣ ، القرني ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٥٩ ، عيان - نزهة ، ص ٤٨٦ .

(٣) ابن خلدون ، الجبر ، ج ٤ ، ق ٤ ، ص ٣١٣ ، القرني ، فتح الطبقات ، ج ١ ، ص ٣٥٩ .

(٤) فتح قلهمرة Calahorra في عمان غرب مدينة صرقسطة وتبعد عن مدينة نصيبه بحجر ٤٤ كم .

المصري ، أروض العطار ، ص ٢٤٨ ، القاسبي ، الأعلام الجغرافية الأندلسية ، ص ٣٣ .

(٥) ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص ٣١٣ ، القرني ، المصدر السابق ، ص ٣٥٩ ، عيان ، دولة الإسلام ، ق ٢ ، ص ٤٨٧ ، سالم ، تاريخ المسلمين ، ص ٢٩٠ .

Levi provençal, Histoire, Vol. III, P. 179.

لغزو فاسترده غالب الناصري<sup>(١)</sup> . ويروي ابن عذارى في حوادث عام ٣٥٥ هـ ( ٩٦٦ م ) خروج غالب الناصري لغزو أراضي قشتالة فيقول : « وفي سنة ٣٥٥ هـ ، أغزى الحكيم القائد غالباً ، ففتح الله في المشركين وانصرف سالمًا » بينما يروي في حوادث عام ٣٥٦ هـ ( ٩٦٧ م ) أنه في يوم الجمعة الموافق السادس والعشرين من شهر شوال سنة ٣٥٦ هـ ( الرابع من أكتوبر سنة ٩٦٧ م ) قرىء بمسجد قرطبة الجامع كتاب فتح ورد من القائد غالب الناصري ، يذكر فيه ما حققه بجيوش قشتالة من القتل والسي ، ثم أعقب ذلك دخول رؤوس القتل مدينة قرطبة<sup>(٢)</sup> . ويبدو أن الميحيين استردوا حصن قلهرة الذي سبق أن افتتحه غالب الناصري عام ٣٥٣ هـ ( ٩٦٤ م ) ، إذ يشير ابن عذارى إلى خروج القائد غالب الناصري في شهر رمضان سنة ٣٥٧ هـ ( يوليو — أغسطس سنة ٩٦٨ م ) بصحبة القائد سعيد بن الحكيم الجعفري على رأس جيوش الثغر بالصائفة على حصن قلهرة ، فأقاما عليه ، وأشرفا على استكمال بناء دفاعاته وتحصيناته ، ثم عادا إلى قرطبة<sup>(٣)</sup> .

---

(١) ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص ٣١٤ ، القرى ، المصدر السابق ، ص ٣٦٠ ، عنان ، المرجع السابق ، ص ٤٨٧

Levi provençal, Histoire, P. 179, n.2

(٢) ابن عذارى ، البيان الثغر ، ج ٢ ، ص ٢٤٠ .

(٣) ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص ٢٤١

Levi provençal, Histoire, Vol. II, P. 179.

ولى عصر الخليفة الحكيم المستنصر عاود النورمانديون<sup>(١)</sup> الاغارة على سواحل الأندلس . ففى أول رجب سنة ٣٥٥ هـ ( يونيو ٩٦٦ م ) وردت رسالة من قصر أنى دانس<sup>(٢)</sup> Alcaer do Sal الواقع جنوب الأشبونة

(١) عن النورمانيين وأصلهم وموطنهم وعاراتهم على الأندلس راجع .

مجمول ، أخبار مجموعة ، ص ٩٩ ، ابن الفوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ١٧٨ ، ١٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، العدرى ، ترصيع الأخبار ، ص ٩٨ ، ٩٩ ، ابن حبان ، المتنبس ، تحقيق محمود مكى ، ص ٢٦ وتطبيق رقم ٨٦ ص ٤٤٧ ، ٤٤٨ ، ص ٣٠٧ — ٣٠٩ ، ابن الأثير ، الكامل فى التاريخ ، ج ١٥ ص ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ابن سعيد ، المغرب فى حلى المغرب ، ج ١ ، ص ٤٩ ، ٥٠ ، ابن الأبار ، الحقة السواء ، ج ١ ، ص ١٦١ ، ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٨٧ ، ٨٨ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ق ٢ ، ص ٢١ ، ابن مخلون ، المغرب ، ج ٤ ، ص ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٣٨٣ ، الشورى ، نهاية الأرب ، ج ١٢٢ ، ص ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٦ ، القرى ، فنج الطب . ج ١ ، ص ٣٢٧ ، مؤنس ، غارات النورماندين على الأندلس بين سنتى ٢٢٩ — ٢٤٥ هـ ، المجلة التاريخية المغربية ، العدد الأول ، المجلد الثانى ، مايو ١٩٤٩ م ، ص ٢٨ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٦ ، ٣٨ ، ٤٠ ، ٤٢ ، عنان ، ديانة الإسلام ، ق ١ ، ص ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، سالم ، تاريخ المسلمين ، ص ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، تاريخ الهجرة الإسلامية فى حوض البحر الأبيض المتوسط ( البحرية الإسلامية فى المغرب والأندلس ) ، بيروت ، ١٩٧٢ ، ص ١٥٢ — ١٦٦ ، العبادى ، فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ١٤٨ — ١٦٠ ، مؤنس ، معالم تاريخ المغرب : الأندلس ، ص ٢٨١ ، ٢٨٢

Dozy, Histoire, Vol. I, P. 260- 262.

Agudo Bleye, Historia de España, P. 415 - 416.

Levi provençal, Histoire, Vol, I, P. 223 - 235.

(٢) قصر أنى دانس ، حصن فى ناحية الجوف فى الأندلس ، يقع فى منطقة الحدود بين كورنى الأشبونة وبادجة . وهو منسوب إلى بابيه أنى دانس بن عوصجة النعموى ، ذكره ابن حزم فى سياق كلامه عن الضامنة فى الأندلس ، وقال : « وبودان بن عوصجة كانوا أصحاباً فطيرة وإلى جدهم ينسب قصر أنى دانس فى الجوف » . يسمى الموضع حالياً Alcaer do sal ( بالبرتغالية قصر الفتح ) وهو يقع على نهر شطوبر الذى يسمى اليوم SADO وهو يمر صحرى يصب فى بحيرة ضحلة صغيرة متصلة بالبحر تسمى اليوم Setubal ، وقد أعاد الحكيم المستنصر بناء الحصن بعد عماره النورماندين على غرب الأندلس سنة ٣٥٩ هـ ( ٩٧٠ م ) ، وكان لقصر أنى دانس دور عظيم فى العصر النوحى ، نظراً لاهتمام خلفاء المرابطين بالمدافع عن غرب الأندلس ، وفى سنة ٦١٤ هـ ( ١٢١٧ م ) استعان البرتغاليون فى الاستيلاء على الحصن بأسطول من الصليبيين الألمان ومع ذلك لم يسقط فى أيديهم إلا بعد قتال مرير وحصار طويل فى جمادى الثانية ٦١٤ هـ ( سبتمبر ١٢١٧ م ) فى يد الفوسو الثانى ملك البرتغال ولا زالت بقية الحصن الحرقى قائمة فيه .

راجع ابن حزم ، جمهرة اسباب العرب ، ص ٤٦٦ ، أبو الفدا ، تقويم البلدان ، ص ١٦٩ ، الحبرى ، الروض المنعطر ، ص ١٦١ ، ١٦٢ ، محمد القاسم ، الاعلام الجغرافية الأندلسية ، =

( لشبونة )<sup>(١)</sup> تشير إلى قيام النورمانديين في ثمانية وعشرين مراكبا بمهاجمة قصر أبي دانس ، وعاثوا في تلك المنطقة ، ثم زحفوا شمالا إلى بسائط أشبونة ، وعاثوا فيها تخريراً ونهباً ، واجتمع المسلمون في تلك المنطقة لقتالهم ، ونشبت بين الطرفين معركة دامية ، أسفرت عن هزيمة ساحقة للنورمانديين . وفي نفس الوقت خرج أسطول أشبيلية من نهر الوادي الكبير بقيادة أمير البحر عبد الرحمن بن رماحس وتمكن من اللحاق بالأسطول النورماندي عند مصب وادي شلب ، فدمر معظم قطعه وانقذ من كان بها من أسرى المسلمين<sup>(٢)</sup> . إلا أن النورمانديين عادوا مرة أخرى إلى تهديد السواحل الغربية للأندلس في أوائل رمضان سنة ٣٦٠ هـ ( يونيو سنة ٩٧١ م ) ، فعهد الخليفة الحكم المستنصر إلى عبد الرحمن بن محمد بن رماحس قائد البحر بالخروج إلى مدينة المرية لحشد الأسطول الإسلامي المرابط بها والمسير إلى السواحل الغربية للأندلس ، فخرج ابن رماحس من قرطبة يوم الاثنين السادس من رمضان ٣٦٠ هـ ( الثالث من يوليو سنة ٩٧١ م ) في طريقه إلى المرية . كما أستقدم الخليفة القائد غالب الناصري وكان حاضراً يومئذ بقرطبة ، وعهد إليه بالإشراف على القوات البرية والبحرية التي أعدت لمداخلة النورمانديين : « لضلوعته وغناؤه وعلمه بثقوب نظره وعمود اكتفائه وحدّه له حدوداً أمره بالتزامها والوقوف عليها وبسطه أتم بسط وقربه أفضل تقرب ، وأستودعه الله عز وجل وأمره بالنهوض والأخذ في شأنه وانطلق وهو يشيعه بدعائه ويمثل الله له وللمسلمين جميل صنعه وحسن

ص ٢٣ ، وراجع أيضاً : سحر السيد عبد العزيز سام ، التاريخ السياسي لتطويع الإسلام ( رسالة ماجستير ، الإسكندرية ، ١٩٨٤ ) ص ١٦٨ وما يليها

(١) تقع أشبونة على الضفة الشمالية لنهر تاجة Tajo عند مصبه في المحيط الأطلس . وهي عاصمة جمهورية البرتغال الحالية ( لشبونة ) وتتصل بكوردة أشبونة بكوردة باجة في جنوبها الشرقي . بكوردة شنترو في شمالها الشرقي

أطلع عن أشبونة : الأدبي ، صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ، ص ١٨٣ — ١٨٦ ، باقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٣٥٦ ، الحميري ، صفة جزيرة الأندلس ، ص ١٦ — ١٨ ، رجع أيضاً : سحر السيد عبد العزيز سام : المرجع السابق ، ص ١٨٠ — (٢) ابن عداري ، البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، حيان ، دولة الإسلام ، ق ٢ ، ص ٤٨٨ ، سام ، البحرية في المغرب والأندلس ، ص ١٨١ ، ١٨٢ .

Levi-Frowinkel, Histoire, Vol. II, P. 170

عاقبته»<sup>(١)</sup> . ويشير ابن حيان إلى أن الخليفة الحكم المستنصر أمر بتوفير كل ما يحتاج إليه من سلاح وعدة ، وأقيم احتفال كبير في قرطبة بمناسبة خروج غالب الناصري « وفصل للفرقة وبين يديه العدة والعديد وصف من الجند قد غص بهم الطريق ، فنفذ لسيله»<sup>(٢)</sup> . ومن المرجح أنه لم تقع أية معارك هامة بين المسلمين والنورماندين ، إذ لم يحدث ابن حيان عن وقوع مثل هذه المعارك . بل أننا نستدل من خلال حديثه عن الاحتفال بعودة غالب من غزواته أن الله تعالى كفى المسلمين القتال وأنه لم يقع قتال بين المسلمين والنورمان والأرجح أن النورمان ارتدوا من تلقاء أنفسهم لما رأوا من تفوق قوى المسلمين . ويهنيء الشاعر محمد بن حسين الطنبلي الخليفة الحكم بهذه النتيجة العظيمة فيقول :

بستدك يُلبى غالبُ لا بياسه      فأنت ولي الشكر في كل ما أبلى  
وباسمك يغدو أعزل الجيش راحماً      ولولاك كان الرمحون به عُزلاً  
رُميت به جيش الجحوس عناية      بتحصينك التقوى وتأمينك السبلا  
ولما أحاطت بالمحيط جنوده      فلم تبق من شطيه غلواً ولا سفلاً<sup>(٣)</sup>

وفي يوم الجمعة الثاني من شهر صفر سنة ٣٦١ هـ ( الرابع والعشرين من نوفمبر سنة ٩٧١ م ) وصل غالب الناصري إلى فحص السراق قافلاً من غزاته إلى السواحل الغربية للأندلس ويصف ابن حيان الاحتفال الكبير الذي أقيم له بقرطبة بمناسبة عودته بقوله : « فاستركب ( أى الخليفة الحكم المستنصر ) إليه الجيوش يوم السبت بعده من قصر قرطبة في التعبئة المنتظمة بالعدد الفخمة ، فيها الشطرنج والألوية ، فتقدم من محله وبين يديه المراكب على أجل هيئة وأتم أهبه ، إلى أن وصل إلى قصر قرطبة والخليفة يومئذ مقيم به ، فتوصل إليه وقعد بين يديه ملياً مفاوضاً له ومسالماً عن حركاته وتقلبه في غزاته التي كفى الله فيها المسلمين القتال وكان الله قوياً عزيزاً . فخلع عليه وانطلق إلى داره ، محموداً سعيداً»<sup>(٤)</sup> .

(١) ابن حيان ، النفس ، تحقيق د . الحجي ، ص ٢٣ ، ٢٤ .

(٢) ابن حيان ، النفس ، تحقيق الحجي ، ص ٢٥ ، ٢٦ .

(٣) ابن حيان ، التصدير السابق ، ص ٦١ .

(٤) ابن حيان ، النفس . تحقيق الحجي ، ص ٦٦ — ٦٧ .

## دور غالب الناصري في أحداث المغرب الإسلامي

أهتم الأمويون في الأندلس إهتماماً بالغاً ببلاد المغرب منذ قيام الدولة الفاطمية عام ٢٩٦ هـ / ٩٠٩ م ، إذ كانت عدوة المغرب تتطلع إلى السيطرة على الأندلس والقضاء على دولة بنى أمية السنية ، وكانت لذلك تشجع الخارجين في الأندلس على الحكومة المركزية وتزودهم بالعدد والسلاح ، فكانت السفن الفاطمية تتردد تباعاً على سواحل جنوب شرق الأندلس تحمل من المعدات والأقوات ما يعين عمر بن حفصون وبنيه على مناوأة الحكم الأموي في قرطبة وتدميره . وكان ذلك حافراً لعبد الرحمن الناصر على اصطناع مياسة بحرية لمنع سفن الفاطميين من الاقتراب من سواحل الأندلس ، كما أنه نقل المعركة بينه وبينهم إلى المغرب بعد أن والى القبائل الزناتية الأعداء التقليديين لقبائل صنهاجة وكامه التي كانت تؤيد الفاطميين . وقد اضطرت الأمويون في الأندلس إلى محاربة الأدارسة حلفاء الفاطميين وأرغموهم في نهاية الأمر على طلب الصلح من الخليفة عبد الرحمن الناصر والأعتراف بطاعته (١) .

ثم تطور الصراع بين الأمويين والفاطميين إلى صدام بحري مسلح ، ففي عام ٣٤٤ هـ ( ٩٥٥ م ) أنشأ الخليفة عبد الرحمن الناصر مركباً كبيراً بدار الصناعة بالمرية وسير فيه أمتعة إلى بلاد الشرق ، فلقى في البحر مركباً يحمل رسولا من أمير صقلية إلى الخليفة المعز لدين الله الفاطمي ، فقطع عليه أهل المركب الأندلسي واستولوا على ما يحمله ، فلما بلغ الخليفة المعز بما حدث ،

(١) عن الصراع الأموي الفاطمي راجع - المبكر - المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب ، جزء من كتاب المسالك والممالك ، طبع في سلان ، الجزائر ، ١٩١١ ، ص ٨٨ ، ٨٩ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ابن حيان ، الفتوح ، نشر بطون شاميا ، ص ٢٨٩ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ابن عدزي ، البيان المغرب ، ج ١ ، ص ١٩٩ ، ٢٠١ ، ج ٢ ، ص ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ابن الخطيب ، أعمان الأعلام ، الجزء الخاص بالمغرب ، نشر ونصيح د . أحمد غنار ، العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني ، الرباط ، ١٩٦٤ م ، ص ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٨ ، ٢١٩ . ص ٢١٣ ، ٢١٢ ، ٢١٣

Levi provençal, le politica africana de Abd-Al-Rahman, III. Al-Andalus, Vol. XI, Fasc. 7, 1944, p. 151-178.

حشد أسطولاً قوياً وولى عليه الحسن بن علي صاحب صقلية وشيره إلى الأندلس ، فوصلوا إلى ميناء المرية ، ودخلوا مرساها وأحرقوا جميع ما فيه من المراكب ، ثم استولوا على المركب الأندلسي الكبير وكان قد عاد من الاسكندرية مشحوناً بأمثلة وجواري ومغنيات للخليفة عبد الرحمن الناصر ، ثم صعد رجال الأسطول الفاطمي إلى البر ، فقتلوا ونهبوا ورجعوا سالمين إلى المهدي<sup>(١)</sup> . وكان رد الفعل الأموي بأن أمر الخليفة عبد الرحمن الناصر باعداد أسطول أموي من ستين سفينة بقيادة غالب بن عبد الرحمن الناصري ، فقام في العام الثالث ( ٣٤٥ هـ / ٩٥٦ م ) بمهاجمة سواحل المغرب التابعة للفاطميين<sup>(٢)</sup> .

ظل الأدارسة على طاعة الأمويين إلى أوائل عام ٣٦١ هـ ( ٩٧١ م ) ، عندما أرسل الخليفة المعز لدين الله الفاطمي قائده بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي غازياً إلى بلاد المغرب الأقصى للانتقام من قبيلة زناته لقتلهم والده زيري بن مناد الصنهاجي وكانت قبيلة زناته من القبائل المغربية المحالفة للدولة

(١) تقع المهديّة على ساحل المغرب الأدنى وهي على اسم عبيد الله المهدي والسبب في بنائها كعاصمة جديدة للدولة الفاطمية الناشئة يرجع إلى شعور المهدي بالحاجة إلى حصن يحمي فيه إذا ما تغيرت عليه نفوس رعاياه الذين كانوا سنيين في معظمهم . ولذا اختار المهدي عاصمته الجديدة على شبه جزيرة بالساحل التونسي بين سوسة وصفاقص كمن يتسنى له الاعتماد على أسطوله في حماية المدينة وعمومها من البحر بين الأزمات ثم أن هذا المكان الساحلي يعتبر قاعدة بحرية هامة للمشروعات التي كانت تدور خلاله وقتئذ مثل الاستيلاء على مصر والأندلس وسواحل البحر المتوسط . ويروي المؤرخون أن الخليفة المهدي قد أشرف بنفسه على بناء مرسى المهديّة . كما أنشأ على ساحلها داراً كبيرة للصناعة ، ثم بنى المهدي حولها أسواراً محكمة ذات أبواب ضخمة . ويقال أنه لما فرغ من بنائها قال : آمنت اليوم على الشاطئيات ، وهذا دليل على حصانها .

راجع : ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٨ ، ص ٣٥ ، مؤلف مجهول ، الاستبصار ، ص ١١٢ - ١١٨ ، المقرئ ، أنماط الخلفاء ، ج ٦ ، ص ١٠١ ، ابن الخطيب ، أعمام الأعلام ، ص ٤٦ - ٤٨ .

(٢) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٢١ ، سالم ، المغرب الكبير ، ص ٦١٢ ، ٦١٣ ، المرية قاعدة الأسطول الإسلامي في الأندلس ، ص ٣٨ ، ٣٩ ، البحرية في المغرب والأندلس ، ص ١٧٧ .

الأموية في الأندلس ، وكان قد أنضوى تحت لوأهم جعفر ويحيى ابنا علي بن حمدون المعروف بالأندلسي وهما من أصل بربري من قبيلة كتامة البربرية ، وأول من دخل من أسرهم إلى الأندلس جددهم الأكبر عبد الحميد ، وكان نزوله بكورة البيرة ، ثم انتقل حفيده حمدون إلى نجاية فأستقر بها ، وقد خرج حمدون هذا مع ابنه علي إلى المشرق سنة ٢٨٧ هـ ( ٩٠٠ م ) لأداء فريضة الحج ، وفي طريق عودتهما من الحجارة ، نزلا بالمغرب حيث أتصل علي بن حمدون بأبي عبد الله الشيعي داعي دعاة الشيعة الفاطميين ببلاد المغرب وقيل ان أبا عبد الله الشيعي هو الذي أطلق على علي بن حمدون إسم علي وكان أبوه قد سماه به بتعلبه به فأرتفعت مكانة ابن حمدون ومنزلته عند الفاطميين عقب قيام دولتهم في المغرب ، فأسندوا إليه الاشراف على بناء مدينة المسيلة وولاه الخليفة عميد الله المهدي عليها . وكان علي بن حمدون قد تزوج من ميمونة بنت علاهم الجيلي التي تنتمي إلى بطن من بطون قبيلة كتامة البربرية وأنجب منها ولديه جعفر ويحيى . وقد ظل علي بن حمدون في خدمة الدولة الفاطمية حتى قتل سنة ٣٣٤ هـ ( ٩٤٦ م ) أثناء قتاله لأبي يزيد مخلد بن كيداد اليفرنى الخارجى الناصر على الفاطميين في المغربين الأدنى والأوسط ، وكانت له معهم حروب كثيرة . ثم تولى جعفر بن علي بن حمدون على المسيلة عقب وفاة والده وظل عليها إلى أن قام زيرى بن مناد الصنهاجى القائم على حكم المغرب باسم الفاطميين بقتل محمد بن الخير بن خزر أمير زناته والقائم بدعوة بنى أمية في المغرب ، وتمكن زيرى من الاستيلاء على فرس من عتاق الخيل كان الخليفة المعز لدين الله الفاطمي قد أهداها لجعفر بن علي بن حمدون فقام جعفر باهدائها إلى محمد ابن الخير بن خزر ، فأرسل زيرى بن مناد الصنهاجى هذه الفرس مع خطابات أخرى منسوبة إلى جعفر بن علي ، كان قد أرسلها إلى محمد بن الخير ، يطلعه فيها على عورات زيرى بن مناد ويغفره منه ، فلما علم الخليفة المعز لدين الله بتحويل جعفر بن علي بولائه إلى الزناتيين ، أستدعاه بأهله وولده وماله إلى حضرته ، وكتب إليه يعزیه عن محمد بن الخير متفرعا له ، وأشار إلى الفرس التي عثر عليها بخورته بقوله : « أعظم الله أجرك

في خيلك ، فقد أجاد قتالنا على الفرس التي كنا حملناك عليه ، وأثرتك به على أنفسنا . فعند ذلك أسقط في يد جعفر بن علي وابتن بالموت لا محالة ، فخرج من المسيلة مع أخيه يحيى وجميع أهله وولده وعبيده وماله في جمادى الآخرة سنة ٣٦٠ هـ ( أبريل سنة ٩٧١ م ) إلى بني خزر امراء زناته وأعلنوا خضوعهم للخليفة الحكم المستنصر ، وأجتمعت قوات بني خزر وجعفر ويحيى على قتال زيري بن مناد ودارت بينهما الحرب وانهمز زيري وقتل معه معظم رجاله في شهر رمضان ٣٦٠ هـ ( يونيو — يوليو سنة ٩٧١ م ) وأحتر الزناتيون رأس زيري ورؤوس عدة من أكابر قواده ، وحملوها ومعهم جعفر ويحيى إلى قرطبة حيث أستقبلهم الخليفة الحكم المستنصر استقبالا راعا في قصر الزهراء<sup>(١)</sup> .

كان رد الفعل الفاطمي عنيفاً ، إذ سير الخليفة المعز لدين الله قائده بلكين ابن زيري ، وأمره باستصال قبيلة زناته واخضاعها ، ووصل بلكين إلى المغرب الأقصى وفي يوم الخميس السابع عشر من ربيع الآخر سنة ٣٦١ هـ ( السادس من فبراير سنة ٩٧٢ م ) التقى بلكين مع محمد بن الخير بن خزر أمير زناته ، فهزمه بلكين شر هزيمة ، واثخن في رجاله ، وقتل جماعة من امراء زناته ، فلما أيقن محمد بنهائته ، اتكأ على سيفه فذبح نفسه حتى لا يقع أسيراً في أيدي بلكين . فملك بلكين المغرب بأكمله ، وقطع منه الدعوة للأمويين ، وقتل أولياءهم ، وأخذ البيعة على جميع أهل المغرب للخليفة المعز لدين الله ، فكان أول من سارع إلى بيعة المعز ونصرته وقاتل أنصار المروانيين معه الحسن بن كنون<sup>(٢)</sup> .

(١) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق الحمصي ، ص ٣٣ — ٣٨ ، ابن الأبار ، الحلة السراء ، حد ١ ، ص ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ابن عذارى ، البيان المغرب ، حد ٢ ، ص ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، مؤلف مجهول ، مغاخر البربر ، ص ٥ — ٨ ،

Levi provençal, Histoire, Vol. II, P. 187 - 188.

(٢) ابن حيان ، المصدر السابق ، ص ١٠٢ ، ابن الأبار ، المصدر السابق ، حد ١ ، هامش (٢) ص ٢٢٧ ، ابن عذارى ، المصدر السابق ، حد ٢ ، ص ٢٤٤ ، ابن أبي رزق ، الأنيس المطرب بروض القرماس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، طبعة فاس ، ١٣٠٥ هـ ، ص ٥٦ ، اسلاوي ، الاستنصاف لأخبار المغرب الأقصى ، طبعة الدار البيضاء ، بدون تاريخ ، حد ١ ، ص ٢٠٠ ، عنان ، دولة الاسلام ، ق ٢ ، ص ٤٩٤ .

فلما بلغت هذه الأنباء الخليفة الحكم المستنصر ، عزم على انفاذ جيش كبير إلى بلاد المغرب لقتال الحسن بن كنون . وفي يوم الخميس الثاني عشر من رمضان سنة ٣٦١ هـ ( السابع والعشرين من يوليو سنة ٩٧٢ م ) استدعى الحكم المستنصر الوزير القائد محمد بن القاسم بن طلمس ، وعهد إليه بالاستعداد للخروج إلى مدينة سبتة : « فتقدم بتوصيته بثقوى الله ربه ، وإيقاظ رأيه وعزمه ، واستعمال جهده وجمده في مغاورة الفاسق حسن وأخماذ ناره »<sup>(١)</sup> . فلما اكتملت الاستعدادات ، خرج محمد بن القاسم بن طلمس من قرطبة ، فركب البحر من الجزيرة الخضراء ، يوم السبت التاسع عشر من شوال سنة ٣٦١ هـ ( الثاني من أغسطس ٩٧٢ م ) إلى مدينة سبتة ، كما أمر الحكم المستنصر قائد البحر عبد الرحمن بن محمد بن رماحس بحشد الأسطول الأندلسي أمام السواحل المغربية ومن سبتة توجه بمحمد بن القاسم إلى مدينة تطاون فألقاها خاليه ، ومنها تقدم إلى مدينة طنجة ، وكان بداخلها الحسن بن كنون ، فولى هاربا في خاصة من أصحابه ، فاستسلم أهل طنجة لمحمد بن القاسم بن طلمس فمنحهم الأمان ، بينما سار الحسن بن كنون إلى جبل حصين يسمى جبل الريح ، تحصن فيه ، فبعه الجند ، وانقضوا عليه من كل جانب فانهمز الحسن بن كنون ، وفر لا يلوى على شيء ، بينما مضى محمد ابن القاسم بعسكره إلى مدينة أصيلا ، ففتحها ودخلها<sup>(٢)</sup> .

أعاد الحسن بن كنون تجميع فنوله وتنظيم صفوفه ، وزحف للقاء محمد ابن القاسم بن طلمس ، والتقى الجيشان بأحواز طنجة بموضع يعرف بفحص مهران<sup>(٣)</sup> وقيل فححص بني مصرح<sup>(٤)</sup> يوم الأحد الثالث والعشرين من ربيع

(١) ابن حبان ، المتنبس ، تحقيق المحيي ، ص ٧٩ — ٨١

(٢) ابن حبان ، المتنبس ، تحقيق المحيي ، ص ٧٩ — ٩١ ، ابن عداري ، البيان المغرب ، ج ٢ ،

ص ٢٤٤ — ٢٤٦ ، مجهول ، مناقرة البربر ، ص ٨ ، ٩

(٣) ابن حبان ، المصدر السابق ، ص ٩٦ . ابن عداري ، المصدر السابق ، ص ٢٤٦

(٤) ابن أبي زرع . روض القرطامن ، ص ٥٦ ، مجهول ، مناقرة البربر ، ص ٩ ، السلاوي ،

الاستقصا ، ج ١ ، ص ٢٠٠ .

الأول سنة ٣٦٢ هـ ( الثلاثون من ديسمبر سنة ٩٧٢ م ) ، فدارت الدائرة على الجيش الأندلسي ، وقتل قائده محمد ابن القاسم بن طملى وخمسة من الفرسان وألف من الرجال وفر الباقون إلى مدينة سبتة ، فدخلوها ، وتحصنوا بداخلها ، وكتبوا إلى الخليفة الحكم المستنصر يستغيثون به<sup>(١)</sup> . وفي نفس الوقت بعث قائد البحر عبد الرحمن بن محمد بن وياحس والقواد المرافقين له ، بخطاب إلى الخليفة الحكم المستنصر يذكرون له فيه أن الحسن بن كنون عرض عليهم عقد السلم وطلب الأمان له ولانصاره والعودة لطاعة الخلافة الأموية وتبادل الرهائن بين الجانبين والاجتماع على قتال الفاطميين ، فرفض الحكم المستنصر ، ورد على قواده قائلاً : هـ وكيف يذهب الآن هذا المذهب ، وهو في حفيانه مستمر وفي دينه مستنصر ولكم في كل أيامه محارب ! هذا هو الضلال والمحال عين المحال وسبب الخبال ، وقد رأى أمير المؤمنين تأمين جميع الناس نديه غيره ، وغير من أصر أصراره ، وتمادى تماديه إلى أن يحكم الله عليه ، ويفتح فيه ، وهو خير الفاتحين لا شريك له ، فلا يتعرض أحدكم لمقاولة أحد من يأتي عنه ، فانظروا في أمركم وجدوا في تثقيف ماله قدمتم نظراً يدل على اجتماع نفوسكم وتآلف بصائرهم وتضافر أيديكم ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ربكم والله المستعان لا رب سواه<sup>(٢)</sup> .

استدعى الخليفة الحكم المستنصر قائده غالب بن عبد الرحمن الناصري لقتال الحسن بن كنون ، فوصل قرطبة في أواخر جمادى الآخرة سنة ٣٦٢ هـ ( أبريل سنة ٩٧٣ م ) ونزل بفحص السراوق انتظاراً لحشد الجيوش الأندلسية ، ثم تقدم إلى مدينة الزهراء في احتفال كبير للقاء الخليفة الحكم

(١) ابن حبان ، المصدر السابق ، ص ٩٦ ، ابن عداري ، البلدان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٤٦ .  
 ابن الأثير ، تاريخ ، ص ٥٦ ، مؤلف مجهول ، مناقرة الطبري ، ص ٩ ، السلاوي ،  
 الاستقصا ، ج ١ ، ص ٢٠٠ ، عتاق ، دولة الأسلاج ، في ٢ ، ص ٤٩٥ .  
 (٢) ابن حبان ، المنتقى ، تحقيق حمدي ، ص ٩٧ - ٩٨ .

المستصر ، فأعطاه الخليفة أموالاً وعدداً كثيرة وجيوشاً وافرة<sup>(١)</sup> . وأمره بقتال  
الأديسة واستزالمهم من معاقلهم ، وقال له عند وداعه : « يا غالب سر مسير  
من لا أكل له في الرجوع إلا حياً منصوراً وميتاً معدوراً ، ولا تشح بالمال  
وأبسط يدك به يتعك الناس »<sup>(٢)</sup> . وفي أوائل شهر شعبان سنة ٣٦٢ هـ  
( مايو سنة ٩٧٣ م ) خرج القائد قاسم بن محمد بن قاسم بن طملى إلى  
الجزيرة الخضراء بفرقة من الجنود مدداً لغالب الناصرى ، كما أرسل الحكيم  
المستصر الأموال الوفيرة لتوزيعها على قواده وجنده بمناسبة قرب حلول شهر  
رمضان المبارك . كما أرسل الحكيم المستصر لغالب الناصرى عشرة آلاف دينار  
لتوزيعها على زعماء القبائل الخارجيين عن طاعة الحسن بن كنون : « استلاقا  
لهم واستصفا لبصائرهم » فضلاً عن فاخر الثياب والسيوف المحلاة للمخلع  
عليهم<sup>(٣)</sup> . وفي نفس الوقت ورد كتاب من غالب الناصرى إلى الخليفة الحكيم  
المستصر يذكر فيه أنه ورد عليه بالجزيرة الخضراء كتاب عبد الكريم بن يحيى  
ومحمد بن يحيى الصنهاجى صاحبي مدينة فاس ، وكتاب من اسماعيل  
ابن البورى ويحيى بن البورى وغيرهم من وجوه أهل المغرب مؤكدين ولاءهم  
وطاعتهم للخلافة الأموية ، وأنه اجابهم بقبول الولاء والطاعة ، فرد عليه الحكيم  
المستصر : « باحماد رأيه وحسن موقعه من سلطانه وإبلاغه بالازدياد منه » .  
كما أخبره الخليفة بموافقة على ارسال محمد بن حسين التميمي المعروف بالطنبى  
إليه ليستعين به لسابق خبرته بأحوال بلاد المغرب ، وكان غالب الناصرى قد  
كتب إليه برغبته في استصحابه له ، وقال له الخليفة : « وأل أمير المؤمنين عهد  
بتوجيه محمد بن حسين الطنبى اليك على ما رغبت فيه ، فقد وقع اختيارك منه  
على خيار وثقة في جميع أحواله ، مع نفاذ دربته وصدق ممارسته لما يرمى إليه ،

(١) ابن حيان ، المستصر السابق ، ص ١٠٢ .

(٢) ابن حيان ، الروض القرطاس ، ص ٥٧ ، اللؤلؤ ، الاستصفا ، ج ١ ، ص ٢٠٠ .

(٣) ابن حيان ، انفس ، تحقيق المحي ، ص ١٠٨ ، وأنظر أيضاً : ابن عدارى ، البيان المغرب ،

ولس يألوك عوناً وتزييناً ان شاء الله<sup>(١)</sup> . ثم استحضر الخليفة الحكم المستنصر محمد بن حسين الطنبى وأمره بالخروج إلى العدو واستصحاب الوزير القائد غالب الناصرى : « والتصرف في شؤنه ومؤازرته في تدبيره »<sup>(٢)</sup> .

فما استكمل غالب الناصرى حشوده ، أبحر من الجزيرة الخضراء يوم الأحد الحادى عشر من رمضان سنة ٣٦٢ هـ ( الخامس عشر من يونيو سنة ٩٧٣ م ) إلى ميناء طنجة فلما اقترب منها ، دفعته الرياح إلى مرسى بطنة المعروف بمرسى قبالة على مسافة تبعد نحو أربعة كيلو مترات غربى الجزيرة الخضراء ، فأرسى هناك مضطراً عدة أيام ، ثم أعاد الأبحار ، ونزل بمرسى اليم المعروف بباب القصر على مقربة من طنجة يوم الاثني الثانى والعشرين من رمضان سنة ٣٦٢ هـ ( السادس والعشرين من يونيو سنة ٩٧٣ م ) ثم ترك غالب الناصرى طنجة متجهاً صوب الحس بن كنون بمحفة جرماية فوصلها يوم الأربعاء الخامس من شوال سنة ٣٦٢ هـ ( التاسع من يوليو سنة ٩٧٣ م ) ودخلها ، بينما فر الحس بن كنون إلى التحصن بمرتفعات جبل الكرم<sup>(٣)</sup> . وفي نفس الوقت تحرك قائد البحر عبد الرحمن بن محمد بن رماحس بأسطوله إلى أصيلا ليكون على مقربة من غالب الناصرى ، كذلك أرسل الخليفة المستنصر إلى غالب بالقبعة الحمراء الفخمة البديعة ، التى أمر باتخاذها له على حدّه ووصفه كما يرفعه وسط محلته ويكون نزوله وقعوده فيها اسماً لقسره ورغماً لقبه عدوه ، وكانت غريبة الابتداء عجيبة الاختراع لها منظر رائع ومرأى فائق<sup>(٤)</sup> .

(١) ابن حبان . التقيس . تحقيق جبر . ص ١٠٩ .

(٢) ابن حبان . القصد السابق ص ١٠٩ .

(٣) ابن حبان . نفس تحقيق جبر . ص ١١٥ .

(٤) ابن حبان . القصد السابق ص ١١٦ .

ثم أرسل الخليفة الحكم المستنصر محمد بن أبي عامر<sup>(١)</sup> إلى العدو باحمال من المال والحلى والخلع لتوزيعها على أكابر البربر الذين يمكن استمالهم إلى جانب الخلافة الأموية ، وأصدر الحكم المستنصر في نفس الوقت مرسومه بتعيين محمد ابن أبي عامر قاضيا لقضاة العدو إلى جانب ما يتقلده من خطتي الشرطة

(١) هو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عامر بن أبي عامر بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك المغازلي ، انتهى إلى قبيلة معاذ بن العنبة العربية وكانت أمه من بني نعيم وهي بركة بنت يحيى بن زكريا الحمصي المعروف بابن برطال . وكان أول من دخل الأندلس من أسلافه جده عبد الملك مؤسس الأسرة الذي رافق طارق بن زياد في حملته ، وكان له في فتح الأندلس أثر ظاهر إذ أفتح مدينة قرطاجنة . ثم استقر في الجزيرة الخضراء في قرية من أعمالها تسمى طرش . وقد حفظ من هذه الأسرة عدد لدى أمراء قرطبة منهم أبو عامر محمد بن الوليد في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط وساد بعده ولده عامر وتقدم عند الأمراء وولى كثيرا من الأعمال الفخامة في الدولة ، وقد نقش الأمير محمد بن عبد الرحمن السكة ورقم الاعلام باسمه توبيا بعرض شأنه ورفعة مقامه . أما والده فنصير عبد الله الكشي بأبي حفص ، فكان من أهل الدين والزهد في الدنيا وانحرف عن السلطان ، اتعد عن زخرفها ولم يسع وراء ملذاتها ، سمع الكثير من الحديث وأدى فريضة الحج ، ومات في عودته من الحجاز بمدينة طرابلس الغرب في أواخر عهد الحليفة عبد الرحمن الناصر .

وقد ولد محمد بن أبي عامر سنة ٣٢٧ هـ ( ٩٣٩ م ) ونشأ في مقاطعة الجزيرة الخضراء في قرية طرش موطن عشيرته وسكن أجداده وهي من أطيب بلاد الأندلس أيضا وأصلحها هواء ، ولم تذكر المصادر التاريخية شيئا عن طفولة محمد بن أبي عامر رغم الشهرة التي اكتسبها هذا الرجل فيما بعد ، والقبور الكبير الذي لعبه في تاريخ سلسلي الأندلس .

والمعروف أنه ورد قرطبة عند صلح شبابه لطلب العلم والأدب ، ولكن سرعان ما دخله الصوح والتطلع إلى السلطان ، واتصل بالسيدة صبح الشكسة ، نصبته لخدمتها وخدمة ابنتها عبد الرحمن فلما توفي عبد الرحمن بقى محمد بن أبي عامر في خدمتها . وكانت قد ولدت هشاما فاختارته لإدارة املاك هشام سنة ٣٥٩ هـ ( ٩٧٠ م ) وكان قبل ذلك يقبل قد تم اختياره للإشراف على دار السكة بقرطبة في شوال ٣٥٦ ( ٩٦٧ م ) ، ثم قدم إلى خصة أنواريث في المحرم سنة ٣٥٨ هـ ( ٩٦٨ م ) . ثم تدرج في الوظائف الرسمية إلى أن شغل منصب الحجابة في عصر الحليفة هشام الميهد .

راجع : ابن حيان ، القسيس ، تحقيق الحجي ، ص ١٢٣ ، ابن حزم ، جمهرة اسباب العرب ، ص ٤١٩ ، ابن بسام ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ق ٤ ، الجند الأول ، ص ٥٦ ، ابن الأثير ، الحفة السواء ، ج ٢ ، ص ٢٦٨ ، ٢٧٥ ، ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٥٧ ، ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، ابن الخطيب ، الاحاطة في أخبار غرناطة ، ج ٢ ، ص ١٠٢ .

الوسطى والعليا والموازيث وقضاء كورة اشيلية<sup>(١)</sup> . كما أرسل الحكيم المتصر إلى محمد بن أبي عامر وهو بطنجة مالا واسعا لينفقه بطنجة وأصيلا ، وكتب إليه : « وما يشك أمر المؤمنين في مناصحتك واجتهادك ، وشكرك للنعمة بك والمثملة عليك والله المستعان »<sup>(٢)</sup> .

وفي يوم الخميس الثالث عشر من شوال سنة ٣٦٢ هـ ( السابع عشر من يوليو سنة ٩٧٣ م ) تقدم غالب الناصري للقاء الحسن بن كنون واتباعه . وكان ابن كنون قد حصن جبل مهران وجعل عليه ابنه وابن عمه ، بينما ضبط جبل الكرم بنفسه لمنع الجيش الأموي من السيطرة على نهر المصاراة الواقع بين جبلي مهران والكرم ، واندلع القتال بين الطرفين ، وقتل الكثير من اتباع الحسن بن كنون ، بينما لاذت قلوبه بجبل الكرم ، وفي أثناء ذلك تلقى غالب الناصري رسالة من الحكيم المتصر رداً على كتاب الفتح الذي أرسله غالب إليه ، جاء فيها « بحمد مقامه ويشكر فعله ويستتب صبره وجده ، ويعرف أن أمير المؤمنين جاد في حرب الفاسق حسن ومحاکمته إلى الله ما أمتدت به حياة حتى يحكم الله بينهما بعذله »<sup>(٣)</sup> . ثم أمر الحكيم المتصر بإرسال الأخوة التجيبين يوسف وهاشم وهذيل بنى محمد بن هاشم التجيبى وأخوة العاصي ابن حكيم بنى عمهم ، ومائة غلام من الرماة وطائفة من الفرسان مدداً لغالب الناصري<sup>(٤)</sup> . ثم ورد على الخليفة الحكيم المتصر كتاب آخر من غالب الناصري يتضمن وصفاً للقتال الذي دار بينه وبين الحسن بن كنون ، وكان له فيه الظهور عليه ، فقتل فيه من حماته عدداً كثيراً ، ومن خاصته عشرين رجلاً<sup>(٥)</sup> .

(١) ابن حبان ، المقتبس ، تحقيق الخجعي ، ص ١٢٣

(٢) ابن حبان ، المصدر السابق ، ص ١٢٣ .

(٣) ابن حبان ، المقتبس ، تحقيق الخجعي ، ص ١٢٥

(٤) ابن حبان ، المصدر السابق . نفس الصفحة .

(٥) ابن حبان . نفس المصدر ، نفس الصفحة

وفى يوم الخميس الخامس من ذى القعدة سنة ٣٦٢ هـ ( السابع من ذى القعدة سنة ٩٧٣ م ) أحضر الخليفة الحكم المستنصر الوزير يحيى بن محمد ابن هاشم التجيبى وتحدث معه برغبته فى انفاذه إلى العدو مددا لغالب الناصرى ، فقاد يحيى التجيبى قرطبة فى عسكر ضخم حيث لحق بعسكر غالب الناصرى وقد أرسل الخليفة الحكم المستنصر لغالب كتابا يخبره بانقاذ يحيى التجيبى إليه جاء فيه : « وأن العهد عند الوزير القائد يحيى بن محمد مقرر بالخفوف اليك والبدار نحوك ، متى ورد كتابك فى ليل أو نهار وان يتصرف كيف رأيت تصرفه فهو مدد لك وعاون على محاولتك ، فانظر فى جميع ما بين يديك ومن يحويه عسكرك نظر من أفرده أمير المؤمنين بيعته وقلده ما بين يديه »<sup>(١)</sup> . كما أرسل غالب الناصرى من عنته بالمصاراة للخليفة الحكم المستنصر كتابا يذكر فيه اعلان بنى ادريس الحسينيين أقارب الحسن بن كئون الطاعة للأمويين ويبدى تخوفه من عدم تمكنه من توفير المال والطعام لكثرة من وفد عليه من الحسينيين وبنى خزر ، فرد عليه الحكم المستنصر : « وقد كفناك الله الاشتغال بالتفكير فى مال أو طعام ، فموادها موصولة بك متلاحقة لديك ، حتى يفتح الله فى الظالم القاطع بعدله ولو أنى ذلك على بيوت الأموال المترعة وأهراء الأندلس المغتصاة ، فلو لم يبق منها غير ما فى الأهواء الخاصة بقرطبة لاحتل اليك جميع ما فيها » . بل أن الخليفة الحكم المستنصر عرض على غالب الناصرى ان ينتقل بنفسه إلى الجزيرة الخضراء ليكون على مقربة من مجربات الأحداث فى المغرب<sup>(٢)</sup> . كما أرفق الخليفة الحكم المستنصر بكتابه هذا كشفا باسماء كبار رجال الحسينيين وغيرهم من وجوه البربر المنحازين لطاعة الأمويين ويان مفصل بالأموال والهدايا المرسلة لكل واحد منهم<sup>(٣)</sup> .

سار غالب الناصرى إلى حصن الكرم ، وكان الحسن بن كئون قد تحصن به ، ولما أدرك غالب استحالة الاستيلاء عليه لجأ إلى استئاله أهل الحصن وكانوا

(١) ابن حبان ، النفس ، تحقيق الحمى ، ص ١٢٩ - ١٣٠ .

(٢) ابن حبان ، المصدر السابق ، ص ١٣٠ - ١٣١ .

(٣) ابن حبان ، النفس ، تحقيق الحمى ، ص ١٣١ .

من كثافة ، وأرسل إليهم من نخبة رجاله خمسمائة فارس ومثلهم من الرجالة بالبنود والطبول والسلاح وأمرهم بمهاجمة الحصن من مكان حدده لهم ، ثم تحرك غالب ببقية جيشه وحاصر الحصن من مكان آخر ، فأحاط الكتاميون بالحصن من جهة ، وأحاط غالب الناصري به من جهة أخرى ، وشددا حصارهما له ، فلم يجد الحسن بن كنون أمامه سوى الفرار إلى معقله بحصن الجعجر<sup>(١)</sup> ، ودخل غالب حصن الكرم يوم الخميس التاسع عشر من ذي القعدة سنة ٣٦٢ هـ ( الحادى والعشرين من أغسطس سنة ٩٧٣ م ) فاستولى على كل ما تركه الحسن بن كنون من الأمتعة والأقوات والأطعمة والأسلحة وغيرها ، كما أطلق سراح الكثير من وجوه قبائل البربر كان ابن كنون قد أوثقهم عنده وأوثقهم في الحديد ، كذلك ضم إلى صفوفه الكثيرين من اتباع ابن كنون الذين سارعوا بإعلان الطاعة والولاء للأمويين ، ثم ترك على الحصن ألف فارس وخمسمائة من الرجالة لضبطه وحمايته ، ثم عاد إلى محله بالمصاراة<sup>(٢)</sup> . ثم أرسل غالب إلى الخليفة الحكم المستنصر كتاب تهنئة بالفتح ، فرد عليه الخليفة بخطاب يشكر فعله ويحمد مقامه ويحذره من اقتراب فصل الشتاء بقوله : « وليس يخفى عليك أن الشتاء بين يديك والبحر دونك وربما تغمر ركوبه ، فاجعل الطعام ذخيرتك وحفظه تجارتك »<sup>(٣)</sup> . كذلك كتب إليه الخليفة بأنه سيرسل مبلغ مليون دينار مع أحد خزان بيت المال إلى مدينة متبة ليسهل على غالب طلب ما يحتاج إليه من أموال ، ومن الأشياء

(١) حصن الجعجر أو قلعة النسر أو حجر النسر أو مدينة الجعجر ، هي الحصن والبلد الأخرى الذى اعتمده به الأدرسي في شمال المغرب . يراها ابراهيم بن محمد بن القاسم بن ادريس . وقد وصف الأدرسي هذا الحصن بقوله : « وكانت مدينة محدثة لأن أدريس ، وهى على جبل شاخ الغرى ، حصينة متينة ، لا يصل إليها من طريق واحد ، والطريق صعب الجار يسلكه الرجل بعد الرجل ، وهى حصينة كثيرة الخيرات وماؤها فيها ، وماها بساتين وعمارات » . وهذه المدينة اندثرت الآن ويجمع المزارعون على أنها في شمال المغرب .

راجع : البكري ، المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب ، ص ١١٤ ، ١٢٦ ، ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، القسم الخاص بالمغرب ، هامش (٢) ص ٢٠٣ ، ٢٠٤ .

(٢) ابن حيان ، الفتن ، تحقيق الخصى ، ص ١٣٤ - ١٣٥ .

(٣) ابن حيان ، المصدر السابق ، ص ١٣٥ .

الطريقة التي طلبها الخليفة من غالب الناصري أن يقوم الجند الأمويين بزراعة وحرث الأراضي التي في حوزتهم طالما أن ذلك لن يسبب خطرا أو تضيقا لأهل البلاد الأصليين ، كذلك طلب الخليفة من غالب الاهتمام بالبريد وإقامة محطات له في طنجة وأصيلا وغيرهما ، وتوفير احتياجات البريد من العلوفة على الدواب ودفع رواتب القائمين والمشرفين على البريد لانتظام سرعة وصول الأخبار إلى الخليفة بقرطبة<sup>(١)</sup> .

ويسجل شعراء الأندلس افتتاح حصن الكرم بأشعار رائعة ، من ذلك قول الشاعر محمد بن شخيص :

لقد حلّ بأس الله بالكرم الذي	غدا وهو في حزب الضلال يلاق
فلو حله غيلان نادى طولوه	«هل الأزمن اللأني مضين رواجع»
وما حجر النسر المتبع بزعمه	منجّ وهل حصن من الله مانع
فلو طار فوق الأرض أو غار تحتها	لما خال أن المتأى عنك واسع
وما يضع الأدبار من أنت رافع	ولا يرفع الأقبال من أنت واضع
وقد علم الاسلام ما أنت منفق	وق نصر من تسمى وعن تدافع
جمعت بما فرقت شمل جميعنا	فأنت بتفريق الدخائر جامع <sup>(٢)</sup>

وفي يوم الجمعة الثالث من المحرم سنة ٣٦٣ هـ (الربيع من أكتوبر سنة ٩٧٣ م) انتهز أهل مدينة البصرة<sup>(٣)</sup> فرصة خروج محمد بن حنون المسترزي فيها لبعض شؤونه وترك عليها خاله محمد بن عبد السلام : «الذي كان ظهيرا له

(١) ابن حيان ، النفس ، تحقيق المحجى ، ص ١٣٥ - ١٣٦ .

(٢) ابن حيان ، المصدر السابق ، ص ١٣٧ .

(٣) مدينة البصرة مدينة أثرية مندثرة ، أسسها الأدارسة في القرن الثالث الهجري وصارت لها شهرة كبيرة في الإردهاز والعسرا حتى القرن الرابع الهجري ، ثم خربت بعد ذلك . وقد اختلف المؤرخون والجغرافيون حول تحديد مكانها بالضبط ، فقالوا أنها كانت بين طنجة وقاس وأنها كانت تعرف ببصره الكنان لاشتهارها بتجارة الكنان وتعرف أيضا بالحمرء لأنها حراء الثرية .  
(راجع : البكري ، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، ص ١١٠ - ١١١ ، ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، هامش (١) ص ١٦٢) .

ومديرا لشأنه لا يقدم أمرا ولا يؤخره إلا عن رأيه ومشاورته وكان مشنوعا إلى أهل البلد . ولذا دبروا عليه وقتلوه ، واحتزوا رأسه وأرسلوها إلى غالب الناصري يستصرخون به ويدعونه للمسير إلى مدينتهم . فلبى غالب صريخهم ودعوتهم وسار إليهم يوم السبت الرابع من المحرم من محلته بالمصاراة ، وأبقى الوزير القائد يحيى بن محمد بن هاشم التنجيني في حصن الكرم للاشراف على تجديد دفاعاته ، ودخل غالب الناصري مدينة البصرة يوم الأحد الخامس من المحرم سنة ٣٦٢ هـ ( السادس من أكتوبر سنة ٩٧٣ م )<sup>(١)</sup> .

أرسل غالب الناصري كتاب تهنئة بفتح مدينة البصرة للخليفة الحكم المستنصر ، كما أرفق بكتابه هذا كتاب أهل البصرة الذي سبق وأن أرسلوه إليه لاستدعائه لدخول مدينتهم . وأنفذ بذلك قنذاً فتاه الذي حمل معه أيضا رأس محمد بن عبد السلام ، فوصل قنذ فتى غالب الناصري إلى قرطبة يوم الأربعاء الثامن من المحرم سنة ٣٦٣ هـ ( التاسع من أكتوبر سنة ٩٧٣ م ) فنزل بمنية الناعورة<sup>(٢)</sup> انتظارا للمثول بين يدي الخليفة الحكم المستنصر ، وفي صباح الخميس التاسع من المحرم ٣٦٣ هـ ( العاشر من أكتوبر ٩٧٣ م ) أمر الخليفة الحكم المستنصر صاحب خيله بالركوب إلى منية الناعورة ، ورفع رأس محمد بن عبد السلام في قناة سامية والبروز به من هناك إلى باب السدة وهو الباب الرئيسي من أبواب قصر الخلافة بقرطبة ، فخرج أهل قرطبة لرؤية هذا الموكب

(١) ابن حبان ، الفتن ، تحقيق الخليلي ، ص ١٤١ - ١٤٢ .

(٢) كانت منية الناعورة في بداية أمرها أرضا تقع على شاطئ الوادي الكبير ، ثم اشترها الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الأوسط من صاحبها خليل البيطار عام ٢٥٣ هـ ( ٨٦٧ م ) فأبدع بابها ، واتخذها سكنا . وفي عصر عبد الرحمن الناصر شتمها بعنايته وعنى بتجديدها ووزعها وجعلها مقرا لاقامته قبل أن يؤسس مدينة الزهراء .  
عن منية الناعورة راجع .

ابن حبان ، الفتن ، نشر منشور انطوية ، ص ٣٨ ، وأنظر الفتن ، نشر شامينا ، ص ٧٥ ، ٢١٩ ، ٢٥٠ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ ، ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١٩٦ ، ١٩٧ ، ٢٠١ ، ابن خلطون ، العمدة ، ج ٤ ، ص ٣١٢ ، المقرئ ، نفع الطيب ، ج ٢ ، ص ١١٢ ، اوهام الرياض ، ج ٢ ، ص ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، جومات مورينو ، الفن الاسلامي في أسبانيا ، ص ٨٥ ، سالم ، قرطبة - ج ١ ، ص ٢٠٤ - ٢٠٥ .

Levi Provençal, Histoire. Vol. III, P 379.

الكبير إلى أن انتهى إلى باب السدة ، فأمر صاحب الشرطة محمد بن جعفر ابن عثمان المصحفي بنصبه فوق خشبة عالية على الرصيف وراء باب السدة ، ثم جلس الخليفة وأوصل إلى نفسه الوزراء وكبار رجالات الدولة ثم استدعى قنند في غالب الناصري ، فأدناه إليه ، واستقر منه عن أحوال الجند ، فأحسن الجواب ، فسر الخليفة ، وأمر له بصلة مائة دينار وكسوة وسيف مذهب وفرس جواد وأمره بالعودة إلى مولاه غالب الناصري<sup>(١)</sup> . وكان محمد ابن حنون المنتزى بمدينة البصرة قد ترك بها روجه ابنة حسن بن كنون ، فأرسل غالب الناصري إلى الخليفة الحكم المستنصر يتطلع رأيه في مصيرها « فعهد إليه أمير المؤمنين ببدل السر عليها وكرامها ومن معها من نسوتها والحاقها وإياهن بالملحد والدها حسن بمقله الحجر ، ففعل غالب ذلك وحملها على فرس رائع بسرج ولجام معرقين مفرغين بعد أن كسيت كسوة سنية وأبيض ذلك في خدمتها ونسائها وأركبن معها فاحتملت معهن إلى أيها الحسن بالبحر بأفضل حال »<sup>(٢)</sup> . وقد أرسل غالب الناصري ثعبان بن أحمد البربري قاتل محمد بن عبد السلام خال محمد بن حنون في وجوه من رجال أهل البصرة إلى قرطبة ، لرضيتهم في الاشتراك في أعمال الجهاد ضد القوى المسيحية في الأندلس وقد أثنى غالب على بأسه ، وذكر للخليفة المستنصر أنه من الأبطال المشاهير لا يعرف له في المغرب نظير ، فأكرمه الحكم المستنصر ووسع عليه ، وقد أبدى ثعبان بن أحمد البربري من الشجاعة والاقدام والياس في الجهاد ما جعله موضع احترام وتقدير الخلافة الأموية<sup>(٣)</sup> .

سار غالب الناصري من مدينة البصرة بعد أن دعم دفاعاتها وشحنها بالرجال ، وقدم عليها عبد الرحمن بن محمد بن الليث ، وأتجه إلى قبيلة رهونة

(١) ابن حبان ، المنتخب ، تحقيق الحمصي ، ص ١٤٢ — ١٤٣

(٢) ابن حبان ، المنتخب ، تحقيق الحمصي ، ص ١٤٣ — ١٤٤ ، ابن عدي ، البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٤٨

(٣) ابن حبان ، المنتخب السابق ، ص ١٤٤

المتحالفة مع الحسن بن كنون ، فلما رأى أهلها مسير العسكر الأندلسي نحوهم ، أعلنوا الطاعة للخلافة الأموية ، فبذل لهم غالب الناصري الأمان<sup>(١)</sup> . ثم سار غالب الناصري إلى الجبل المعروف بجبل العيون المتصل بحجر النسر ، ووضع عليه ألف من الرجالة للتضييق على الحسن بن كنون ، وشدد غالب الحصار عليه ، فخرج عنه الكثير من المؤيدين والأنصار حتى بلغوا سبعمائة رجل في يوم واحد كان آخرهم ولده المسمى بالمتصور مع أخته وأمها ، لاذوا بالأمان مؤثرين طاعة الأمويين ، بل أن المشرف على سجن الحسن بن كنون توأماً مع من كان في سجنه من الرهائن الذين كان ارتبهم من بعض القبائل ، فأطلق سراحهم ، وفر بنفسه معهم إلى غالب الناصري فضمهم إليه وأحسن إليهم ، فاضطر الحسن بن كنون إلى إرسال ابنه علي بن الحسن إلى غالب الناصري لطلب الأمان لنفسه وأهله وماله ورجاله ، فأجابته غالب إلى ذلك وعاهده عليه ، ودخل غالب حجر النسر يوم الجمعة الثاني والعشرين من جمادى الآخرة سنة ٣٦٣ هـ ( العشرين من مارس سنة ٩٧٤ م ) . وفي يوم الجمعة التالي الموافق للتاسع والعشرين من جمادى الآخرة سنة ٣٦٣ هـ ( ٢٧ مارس سنة ٩٧٤ م ) شهد الخليفة الحكم المستنصر صلاة الجمعة بالمنسجد الجامع بقرطبة ، وجلس بعد الصلاة في ساباط المقصورة كعادته وأوصل إلى نفسه الوزراء وكبار رجالات الدولة وأعلن أمامهم خضوع الحسن بن كنون وقرأ عليهم كتاب غالب الناصري يهنئه بهذا النصر العظيم ، وأن الخطبة قد قامت لأمر المؤمنين في قلعة حجر النسر : « فاستبشر الوزراء وبشروا وهنوا وغيظوا وأعلنوا بشكر الله تعالى فأطالوا »<sup>(٢)</sup> . وقد صدر عن أمر الخليفة المستنصر كتاب تل على سائر منابر المساجد بالأندلس ينوه فيه بالانتصارات التي أحرزها

(١) ابن حيان ، نفسه ، ص ١٤٤

(٢) راجع هذه التفاصيل في ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق الحجي ، ص ١٤٤ - ١٥١ .

ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٤٨ ، ابن أبي روع ، روض القرطاس ، ص ٥٧ ،

السلامي ، الاستقصا ، ج ١ ، ص ٢٠١

عل الحسن بن كتون وارغامه وأهله على قبول طاعته مع التنويه بفضل قائده  
غالب الناصري<sup>(١)</sup> .

وفي أواخر ذى الحجة سنة ٣٦٣ هـ ( سبتمبر سنة ٩٧٤ م ) عبر غالب  
الناصرى المجاز إلى الجزيرة الخضراء ، تاركا شئون المغرب للقائد يحيى بن محمد  
بن هاشم التجيبى تنفيذاً لرغبة الخليفة الحكم المستنصر وكان فى ركب غالب ،  
الحسن بن كتون وسائر أهله وشيعته من زعماء الإدارة . وأشرف غالب فى  
ركبه الحافل على قرطبة فى أوائل المحرم سنة ٣٦٤ هـ ( سبتمبر سنة ٩٧٤ م )  
وأنزل الاشراف الحسينيون المرافقون له فى الدور التى أعدت لهم بقرطبة  
وأرباضها . وخرج الجند من مدينة الزهراء فى صبيحة يوم الخميس الخامس من  
المحرم سنة ٣٦٤ هـ ( السادس والعشرين من سبتمبر ٩٧٤ م ) لتلقى غالب  
الناصرى والمير بين يديه ، وعلى رأسهم عدة من الفتيان ورؤساء الخدمة ،  
ودخل غالب قرطبة فى عسكره ، وفى ركه الأشراف الأدارسة ونزل بمنية  
الناعورة ويصف لنا المؤرخ ابن حيان فى تفصيل شاف موكب غالب الناصرى  
يوم السبت السابع من المحرم سنة ٣٦٤ هـ ( الثامن والعشرين من سبتمبر  
٩٧٤ م ) وهو فى طريقه للقاء الخليفة الحكم المستنصر بقصر الزهراء ، ومن  
كان يحف به أو يتبعه من الفرسان المدرعين وأهل الخدمة والصقالية والعيد  
والرماة وغيرهم من أصحاب الطبول والبنود والرايات ودخل غالب فى موكبه  
الفخم مدينة الزهراء من باب السدة ، ونفذ إلى القصر ، بينما أنزل الأدارسة  
الذين معه فى المجالس القبلية بدار الجند . وكان الخليفة الحكم المستنصر قد  
جلس لاستقباله فى المجلس الشرق المشرف على الرياض ، وقد حف به  
الأخوة ، وجلس من بعدهم الوزراء وأصحاب الشرطة والمدينة والقضاة  
والفقهاء وسائر أهل الخدمة ، كل فى مكانه المجهود . واستقبل الخليفة زعماء  
الأدارسة وشكر طاعتهم ، وعفا عن الحسن بن كتون ووعدهم بالاحسان  
وأجزل لهم الأرزاق والصلات<sup>(٢)</sup> .

(١) راجع : ابن حيان ، المصدر السابق ، ص ١٧٨ — ١٨٢

(٢) راجع التفاصيل فى : المنتسب ، تحقيق المحيى ، ص ١٩٤ — ٢٠٠

وفي الثاني من شعبان سنة ٣٦٤ هـ ( ١٧ أبريل سنة ٩٧٥ م ) هاجم جيش مشترك من الجلائقة والبشكنس والقشتاليين حصن غرماج الحصين الواقع على نهر دويرة على مقربة من مدينة سالم ، ونشب بين هذا الجيش والحامية الاسلامية المرابطة بحصن غرماج قتال عنيف . كان النصر فيه للمسلمين ، ولكن النصارى سارعوا إلى طلب الامدادات من جميع القوى المسيحية منتهزين انشغال الجيوش الاندلسية بحروبها في المغرب . وقد شدد النصارى حصارهم لحصن غرماج<sup>(١)</sup> . فلما وصلت هذه الأخبار إلى الخليفة الحكم المستنصر ، أسرع بتجريد عاكر ضخمة وقرر اسناد القيادة لـ : هـ شيخ مواليه وكبير قواده وسيف انتقامه الوزير القائد الأعلى أبا تمام غالب بن عبد الرحمن ، شيخ الحروب . وفارس الخطوب ومهون الكروب ومذلل القروم هـ . عقب عودته ظافرا من حروبه ضد الحسن بن كون ، وكان الخليفة الحكم المستنصر قد ميز غالب الناصري وجعل له العداوة على بقية وزراء : هـ حتى لأنفذ عهده بتصدير فراشه ، الموضوع مكانه بيت الوزراء في قصره الذي هو معان العزة التي لها يسعى أهل المملكة ، فوق فرش الوزراء المرتبة فيه على المنازل المعهودة الترتيب لديهم في طبقاتهم ، وتعليته في القعود فوق جميعهم ، تشريفا له لم يسبق إلى مثله<sup>(٢)</sup> .

وفي يوم الخميس السابع من شعبان سنة ٣٦٤ هـ ( الثاني والعشرين من أبريل سنة ٩٧٥ م ) استدعى الخليفة الحكم المستنصر غالب الناصري إلى مجلسه بتصرف الخلافة بقرطبة ، وأمره بالتأهب والاستعداد لقيادة جيوش الصائفة المتجهة إلى حصن غرماج ، ثم قام بتقليده سيفين من ذخائر ميوفه مذهبين . وفي يوم السبت التاسع من شعبان سنة ٣٦٤ هـ ( الرابع والعشرين من أبريل سنة ٩٧٥ م ) خرج غالب الناصري من داره في موكب فخم واحضان كبير شهده أهل قرطبة ، وكان الخليفة وولى عهده الأمير هشام في

(١) ابن حيان ، المقنيس ، تحقيق الحمي ، ص ٢١٨ - ٢١٩

Levi Provençal, Histoire. Vol. II. P. 183.

(٢) ابن حيان ، المقنيس ، تحقيق الحمي ، ص ٢١٩

وداعه ، كما أرسل الخليفة في أثره اجمال المال للاتفاق على الصائفة<sup>(١)</sup> . كذلك أنفذ سهل الفتى الكبير إلى الثغر الأعلى مدداً لغالب الناصري تنفيذاً لرغبة غالب نفسه ، فخرج إليه في جموع كبيرة<sup>(٢)</sup> ، كما استدعى ولي العهد الأمير هشام القائد عبد العزيز بن حكم التجيبي وأمره نيابة عن الخليفة باللحاق بغالب الناصري<sup>(٣)</sup> .

واصل غالب الناصري سيره إلى أن وصل إلى جنوبي حصن غرماج ، فوجد أن النصارى قد شددوا حصارهم له ، وأحاطوا به من كل جانب ، فتوقف عن اقتحام الحصار حتى تصل إليه الامدادات . وفي يوم السبت السابع من رمضان سنة ٣٦٤ هـ ( الحادى والعشرين من مايو سنة ٩٧٥ م ) حدثت مناوشات بين الطرفين على ضفتى نهر دويرة ، فالتحق غالب القتل فيهم ، وقتل ما يقرب من عشرين من كبار رجال الدين المسيحيين<sup>(٤)</sup> .

ولا شك أن الحصار المسيحي لحصن غرماج كان له أسوأ الأثر في نفوس أهل قرطبة ، حيث كان حديث الناس في مساجدهم ومحافلهم ، وما يؤكد ذلك الحديث الذى وجهه أحد المسلمين لكبار رجال الدولة الذين شهدوا جنازة أحد كبار الزهاد في قرطبة قائلاً : « عباد الله أخلصوا الله دعاءكم وأرفعوا إليه أصواتكم بالدعاء والابتهال في حقن دماء أخوانكم المؤمنين وأوليائكم المسلمين أهل حصن غرماج الذين قد أحاط بهم جمع المشركين وأخذوا بمخنتهم ، واستطالوا عليهم بكثرتهم ، اللهم أهلك الكفرة ، وما ابتدعوا ، وأوهن كيدهم وما جمعوا ، اللهم فرق ملأهم بعزتك ، وبدد شملهم بعظمتك ، وأيد المسلمين عليهم بقدرتك ، وأنصرهم نصراً عزيزاً ، وأفتح لهم فتحاً مبيناً » . فأمن الحاضرون واجهشوا بالبكاء وعجلوا بالضراعة والدعاء ، والابتهال والدعاء<sup>(٥)</sup> . وفي يوم الاثنين الخامس عشر من شوال سنة ٣٦٤ هـ

(١) ابن حيان ، المصدر السابق ، ص ٢٢٠ .

(٢) ابن حيان ، نفسه ، ص ٢٢٣ .

(٣) ابن حيان ، نفسه ، ص ٢٢٥ ، ٢٢٦ .

(٤) ابن حيان ، النفس ، تحقيق الجمي ، ص ٢٢٦ — ٢٢٧ .

(٥) ابن حيان ، النفس ، تحقيق الجمي ، ص ٢٢٩ .

( ٢٨ يونيو ٩٧٥ م ) ، أحاط النصارى بحصن غرماج في حشود ضخمة بلغت زهاء ستين ألفاً ، محاولين اقتحامه ونشبت بينهم وبين الحامية الإسلامية معركة عنيفة انتهت بهزيمة النصارى ، فبادرت صفوفهم بالارتداد عن الحصن بعد أن فقدوا كثيراً من جندهم وعتادهم ، وطاردهم المسلمون قتلوا منهم جموعاً أخرى وأحرزوا غنائم كثيرة ، وبعث المسلمون إلى غالب الناصري وهو مقرب منهم لنصرتهم نبأ هذا الانتصار فأنفذه من فورهِ إلى الخليفة وسار إلى الحصن ونزل به . وكانت مدة الحصار المسيحي لحصن غرماج أربعة وسبعين يوماً<sup>(١)</sup> . ثم خرج غالب الناصري من حصن غرماج في قواته ، فعاث في أراضي قشتالة ، فانتصف زروعهم وخرّب قراهم وقتل من ظفر به منهم . ولما كان غرسية فرنانديز صاحب قشتالة على مقربة من الجيش الإسلامي ، فقد سبر قوة كبيرة لمُدافعة المسلمين ، وقد حدث الصدام بين الطرفين يوم الخامس عشر من شوال سنة ٣٦٤ هـ ( الثامن والعشرين من يونيو سنة ٩٧٥ م ) ، وهُزم القشتاليون هزيمة قبيحة ، وقتل الكثير من أعلام رجالهم ومشاهير فرسانهم ، وقد أرسل غالب الناصري للخليفة الحكم المستنصر كتاب مهنئة بهذا الانتصار ، فقرأه في المسجدين الجامعين بقرطبة والزهاء يوم الجمعة الرابع من ذي القعدة سنة ٤٦٤ هـ ( السادس عشر من يوليو سنة ٩٧٥ م )<sup>(٢)</sup> .

### الصراع بين غالب الناصري والمنصور بن أبي عامر :

كانت بين القائد غالب بن عبد الرحمن الناصري والحاجب جعفر بن عثمان المصحفي<sup>(٣)</sup> عداوة ومنافسة ، وكان المصحفي يخشى غالباً ، كما كان غالب

(١) ابن حيان ، المصدر السابق ، ص ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، عند دولة الإسلام ، ق ٢ ، ص ٥٠٢ .

Levi Provençal, Histoire. Vol. II, P. 183 - 184.

(٢) ابن حيان ، انقبس ، تحقيق الجعي ، ص ٢٣٦ — ٢٣٧ .

Levi Provençal, Histoire. Vol. II, P. 184.

(٣) جعفر بن عثمان المصحفي من بربر بلنسية ، كان والده عثمان بن نصر امّودياً للأمر بالحكم بن عبد الرحمن الناصر ، حتى توفى عام ٣٢٥ هـ ( ٩٣٦ م ) ، فلما توفى والده قرّبهُ الأمير بالحكم إليه وعينه كاتبا له ، ثم ولاة الخليفة عبد الرحمن الناصر على كورة البيرة والمربة ، ثم عزله عن المربة التي =

يزدر به ويمثته ولا يراه أهلا للمنتصب الرفيع الذي بات يشغله ، ويرى نفسه أولى وأحق به كذلك كان محمد بن أبي عامر يطمع هو الآخر في الظفر بهذا المنصب وحدث أن أتباطأ غالب الناصري بعد وفاة الخليفة الحكم المستنصر في مدافعة النصارى وقعد عن ردهم لما هاجموا الثغور ، فشكا المصحفي ذلك للوزراء فأشاروا عليه بملاطفته واستصلاحها<sup>(١)</sup> . ولكن محمد بن أبي عامر أغتتم هذه الفرصة ليضم غالبا إليه تمهيدا للتخلص من جعفر فتظاهر بالاخلاص له ، وبالغ في التقرب إليه واكتساب ثقته ، وأخذ يعلى من مكانة غالب عند السيدة صبح البشكنسية<sup>(٢)</sup> زوج الخليفة الحكم المستنصر وأم الخليفة هشام المؤيد

تولاهما القائد محمد بن رمحس ، وأقر جعفر بن عثمان على البيوة فقط ، ثم لم يلبث أن ثمرى عنها سنة ٣٢٩ هـ ( ٩٤٠ م ) . وفي عام ٣٣٣ هـ ( ٩٤٤ م ) ، ولاء الناصر قائدا على الجزائر الشرقية . فلما توفى الناصر وتولى ابنه الحكم المستنصر الخلافة استوزر جعفر بن عثمان وولاه كتابه الخاصة ، ثم صد إليه الاشراف على الشرطة وخدمة ابنه الأمير هشام . وظل جعفر أقرب الشخصيات ومحل ثقة الخليفة الحكم المستنصر إلى أن توفى في سنة ٣٦٦ هـ ( ٩٧٦ م ) فلبث دورا هاما في الحفاظ على عرش الخلافة للأمير هشام المؤيد فولاه الخليفة هشام حمجابه وأصبح من أهم الشخصيات في بلاط قرطبة .

عن جعفر بن عثمان المصحفي وراجع : ابن القزويني ، تاريخ علماء الأندلس ، ق ١ ، ص ٩٨٨ . ص ٣٠٥ ، ابن حبان ، القتيبي ، تحقيق شاذلي ، ص ٤٧ ، ابن بسلم ، الفخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ق ٤ ، المجلد الأول ، ص ٦٤ ، العذابي ، فرصيح الأخبار ، ص ٨١ ، ابن الأبار ، حلقة السيرة ، ج ١ ، ص ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ابن عدي ، البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢١٥ ، ٢٦٥ ، مجهول : جغرافية الأندلس ، ص ١٧٣ - ١٧٦ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠ - ١٨٢ ، المقرئ : نفع الطيب ، ج ٤ ، ص ٨٨ .

Levi Provençal, Histoire, Vol. II, PP 213 - 214.

(١) ابن بسام ، الفخيرة ، ق ٤ ، م ١ ، ص ٦٤ ، ابن خفان ، مطمح الأنفس وسرح النابيس ، ص ٤ - ٦ ، المقرئ ، نفع الطيب ، ج ٤ ، ص ٨٨ .

(٢) لتعرف شيئا عن نشأة صبح البشكنسية وحياتها الأولى ، وكل ما تقدمه اليها الروايات الإسلامية في ذلك أن صبحا كانت حيارية بشكنسية ظهرت في بلاط قرطبة في أوائل عهد الخليفة الحكم المستنصر وكانت فتاة رائعة الحسن والجمال ، فتعجب بها الحكم وأغدق عليها حبه وحننا بجعفر ، وقد ولدت للمستنصر ولدا سماه عبد الرحمن ، وكان مولده حادثا خطيرا نوهت به لشعراء وأدباء ولكنه مات طفلا ، فحن عليه الحكم إنما حزن ، على أن القدر لم يلبث أن جابه مرة أخرى ، إذ ولدت صبح ولدا آخر سماه أبوه هشاما ، فكان وفي عهده انقلب بالمؤيد ، واستمرت صبح أيام الحكم المستنصر تصنع في البلاط والحكومة بغير تكبير ، وكان المستنصر يتق في اخلاصها وحنها

وصاحبة التأثير القوى على إبنها ، وتمكن من اتقاعها هي وابنها ، وكذلك كبار رجالات القصر بضرورة تقرب غالب واسترضائه ، حتى نجح أخيرا لى استصدار مرسوم برفع غالب إلى منصب ذى الوزارتين وبأن يندب لقيادة جيش الثغر وأن يندب محمد بن أبى عامر لقيادة جيش الحضرة<sup>(١)</sup> .

وفى يوم عيد الفطر سنة ٣٦٦ هـ ( ٢٣ مايو سنة ٩٧٧ م ) ، خرج محمد بن أبى عامر بالصائفة ، فاجتمع مع غالب الناصرى بمدينة مجريط<sup>(٢)</sup> ، واتفقا على الايقاع بمجهر بن عثمان المصحفى ، واخترق الجيشان معا أراضى قشتالة ، وافتحا حصن موله وأصابوا كثيرا من الغنالم والسي . وعلى الرغم من أن غالبا

== ويستمع إلى رأياها فى معظم شئون الدولة ، وكانت كمنها هى العليا فى تعيين الوزراء وكبار رجالات الدولة ، وتمكن محمد بن أبى عامر بفضها من تقلد أرفع وظائف الدولة والقصر ولكنه مرعاه ما تغير عليها ، فاستعانت بزيرى بن عطية المفاوى ، فصادر ابن أبى عامر أموالها ، وحجر عليها إلى أن توفيت فى ٢٩ ذى الحجة ٣٨٩ هـ ( ١١ ديسمبر ٩٩٩ م )

راجع : ابن بسام ، المدخيرة ، ق ٤ ، م ١ ، ص ٧٠ ، ابن سعيد المغربى ، المغرب ، حد ١ ، ص ١٩٦ ، ابن عذارى ، اليان المغرب ، حد ٢ ، ص ٢٣٦ ، ٢٣٥ ، ٢٥١ ، ٢٦٦ ، ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ق ٢ ، ص ٤٩ ، المغربى ، فتح الطب ، حد ٤ ، ص ٨٧ ، ٩١ ، ٩٢ ، عنان : دولة الاسلام ، ق ٢ ، ص ٥٠٢ ، ٥٠٣ ، ٥٢٠ ، ٥٢٢ .

(١) ابن عذارى ، اليان ، حد ٢ ، ص ٢٦٥ ، المغربى ، فتح الطب ، حد ٤ ، ص ٨٨ .

Levi Provençal, Histoire, Vol. II, P. 213 - 214.

جيش الثغر أى الجيش المرابط على الحدود الشمالية . وكان فى العادة جيشا ضخما معنا أحسن اعداد وعتوبها أكمل تدريب . وكانت كتلة هذا الجيش الرئيسى تقيم فى مدينة سالم قاعدة الثغر الأوسط . وبئى جانب هذا الجيش كان هناك جيش آخر يقيم فى الزهراء يسمى جيش الحضرة . وكانت قيادة جيش الحضرة لتخلبغة نفسه ، وهو يندب عنه من يريده من قواده . فإذا خرج الخليفة للغزو جمع قيادى جيش الثغر وجيش الحضرة .

(٢) مجريط ( واسمها الآن مدريد Madrid ) وهى عاصمة أسبانيا منذ عام ١٥٦٢ م . كانت حصنا له نصيب من الأهمية العسكرية والثقافية من أعمال طليطلة . وهى من انشاء الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط ، وقد وقعت فى أيدي النصارى سنة ٤٧٦ هـ ( ١٠٨٣ م )

راجع : الأدريسى ، صفة المغرب ، ص ١٧٥ ، ١٨٨ ، ياقوت ، معجم البلدان ، حد ٧ ، ص ٢٨٨ — ٢٨٩ — ٣٩٤ ، ابن سعيد ، المغرب ، حد ٢ ، ص ٤٣ — ٤٤ ، الحموى ، الروض المعطار ، ص ١٧٩ — ١٨٠ ، محمود مكى ، مدريد العربية ، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر ، بدون تاريخ ، ص ١٩ وما بعدها

كان صاحب الفضل فيما أحرزته تلك الصائفة من انتصارات ، إلا أنه تنازل عن حقه ونسب ما أحرزه من انتصارات لشجاعة وبسالة محمد بن أبي عامر . ولما انتهت الغزوة انترق القائدان ، وعاد غالب إلى ثغره بعد أن أبلغ في مواطأة ابن أبي عامر على عدوه جعفر المصحفي ، وقال لابن أبي عامر عند وداعه : « سيظهر لك بهذا الفتح اسم عظيم ، وذكر جليل وسيشغلهم السرور به عن الخوض فيما تحدثه من قصته فإياك ان تخرج عن الدار ( أي قصر الخلافة ) حتى تعزل ابن جعفر عن المدينة وتقلدها دونه » (١) .

خاطب غالب الناصري الخليفة هشام المؤيد بحسن مناب محمد بن أبي عامر في هذه الغزوة ، ونسب السعي والاجتهاد إليه ، وشكروه وشد عضده عند الخليفة ، ووصلت هذه الرسالة قرطبة قبل عودة ابن أبي عامر ، ثم دخل قرطبة متصرفا بالسبي والغنائم فاستمال قلوب الخاصة والعامة ، وهان عليه أمر جعفر المصحفي ، وشرع في التخلص منه ، فما كاد يصل إلى قرطبة حتى أمر الخليفة هشام بعزل محمد بن جعفر بن عثمان المصحفي عن ولاية المدينة وتقليدها لمحمد بن أبي عامر : « فخرج محمد نحو كرسيها في هذا اليوم ، والخلع عليه ، ولا عند جعفر علم بذلك ، وكان محمد بن جعفر جالسا في مجلسها في ابهة ، إذ صعد ابن أبي عامر نحوها ، فويل محمد بن جعفر ناكصا على عقبة » (٢) . فأعاد محمد بن أبي عامر الأمن والأمان إلى قرطبة ، إذا كان أهلها يعانون من اضطراب الأمور واختلال الأمن وذيوع الفساد ، فأصدر ابن أبي عامر أوامر مشددة بقمع أهل الشر والفساد ، وطبق القانون على أقرب المقرين له ، فانقمع الشرقي أيامه ، واستخلف على المدينة ابن عمه عمرو بن عبد الله بن أبي عامر : « فسلك في أهل الشر سبيله بل أرى عليه في ذلك » (٣) .

(١) ابن بسام ، الذخيرة ، ق ٤ م ١ ، ص ٦٤ ، ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، القرى ، نوح الطيب ، ج ٤ ، ص ٨٨ ، عان ، دونة الإسلام ، ق ٢ ، ص ٥٢٨

Levi Provencal, Histoire, Vol. II, P. 214.

(٢) ابن بسام ، الذخيرة ، ق ٤ م ١ ، ص ٦٤ ، ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٦٦

(٣) ابن بسام ، الذخيرة ، ق ٤ م ١ ، ص ٦٤ ، ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٦٦ — ٢٦٧ .

أيقن جعفر بن عثمان المصحفي أن محمد بن أبي عامر يهدد الطريق — بتقريبه من غالب الناصري — لتتخلص منه والوصول بمساعدة غالب إلى منصب الحجابة ، فلم يجد سوى وسيلة واحدة لانقاذ الموقف وهي المبادرة إلى التقرب من غالب الناصري ، فكتبه يستصلحه ، وخطب ابنته أسماء لابنه عثمان ، فتأثر غالب لطلبه ، ووافق على ذلك برغم ما كان بينهما من خلال وعداء ، وتمت كتابة العقد وحدد يوم الزفاف دون أن يعلم محمد بن أبي عامر بما حدث ، ولكن سرعان ما علم ، فكتب إلى غالب بنشده العهد ، ويخوفه الحيلة ، ويخطب ابنته أسماء لنفسه ، كما أغرى رجال القصر فكتابوه وصرفوه عن نيته ، فنزل غالب على تلك الرغبة ، وعهد إلى مصاهرة ابن أبي عامر وتم العقد في أوائل المحرم سنة ٣٦٧ هـ ( أغسطس سنة ٩٧٨ م ) فلما تم هذا العقد خرج محمد بن أبي عامر للغزو ، فدخل طابطة غرة صفر سنة ٣٦٧ هـ ( الثامن عشر من سبتمبر سنة ٩٧٨ م ) ، فالتقى مع صهره غالب الناصري ، وسار الاثنان في قواتهما شمالا حيث اقتحما في طريقهما بعض الحصون حتى وصلا إلى مدينة شلمنقة الواقعة جنوب غربي مملكة ليون ، فاقتحماها ، وعانا في أرياضها واستوليا على كثير من الغنائم والسي ، وعاد محمد بن أبي عامر إلى قرطبة ، فسر الخليفة هشام المؤيد بصنيعه ورفع له إلى خطة الوزارتين أسوة بصهره غالب ورفع راتبه إلى ثمانين دينارا شهريا وهو راتب الحجابة وقتئذ . وما كاد ابن أبي عامر يستقر في قرطبة حتى أخذت الأهبه لاتمام زفافه على أسماء ، فأحضرت إلى قصر الخلافة في مركب ضخم ، وكانت من أجمل نساء عصرها وأوفرهن ثقافة ، وكانت قد تزوجت لأول مرة بالوزير ابن حدير على أيام الحكم المستنصر ثم طلقت منه . وزفت أسماء إلى محمد بن أبي عامر في حفلات كانت مضرب الأمثال في البذخ . ونظم الاحتفال بقصر الخلافة في قرطبة وبإشراف السيدة صبح البشكنسية التي أهدت على العروس أروع

الهدايا والتحف ، وحظيت أسماء عند محمد بن أبي عامر ، فلم يفارقها مدى حياته<sup>(١)</sup> .

قُلت الخليفة هشام المؤيد غالب الناصري منصب الحجابة بالاشتراك مع جعفر المصحفي ، ثم سرعان ما نُسخت الخليفة على جعفر المصحفي ، فعزله عن الحجابة يوم الاثنين الثالث عشر من شعبان سنة ٣٦٧ هـ ( السادس والعشرين من مارس سنة ٩٧٨ م ) ، وأمر بالقبض عليه وعلى أولاده وأفراد أسرته ، وعزلهم عما كان بأيديهم من أعمال ، والتحفظ على أموالهم ، وتولى محمد بن أبي عامر أمر محاسبتهم واستصفاء أموالهم ، كذلك قتل هشام ابن أخي جعفر المصحفي في سجنه ، إذ كان أشد آل عثمان عداوة له ، واستمرت الكفة على جعفر المصحفي خمسة سنوات إلى أن توفي بسجن مدينة الزهراء سنة ٣٧٢ هـ ( ٩٨٢ )<sup>(٢)</sup> .

رقى محمد بن أبي عامر إلى منصب الحجابة في نفس اليوم الذي عُزل فيه جعفر بن عثمان المصحفي ، وأخذ يسيطر على مقاليد الأمور في الدولة ، وأصبح الخليفة هشام المؤيد كالمحجور عليه بقصر الخلافة وفي ذلك يقول ابن عذاري : « ابن أبي عامر بلغ من ذلك مبلغا لم يبلغه قط متقلب على خليفة ، لأنه احتوى على الملك كله ، وصير الخليفة قبضة في يده ، حتى أنه لم

(١) راجع في ذلك .

ابن بسام ، الذخيرة ، ق ٤ ، م ٤١ ، ص ٦٥ ، من الأبيار ، الحفة السراء ، ج ١ ، ص ٢٥٩ ، ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٦٧ ، القرى ، نفع الطيب ، ج ٤ ، ص ٨٨ — ٨٩ ، عنان ، دولة الاسلام ، ق ٢ ، ص ٥٢٩

Levi Provençal, Histoire, Vol. II, P. 214 - 215

(٢) ابن بسام ، الذخيرة ، ق ٤ ، م ٤١ ، ص ٦٥ — ٧٠ ، ابن خفان ، مطمع الأنفس ، ص ٤ — ٨ ، ابن سعد ، المغرب ، ج ١ ، ص ١٩٩ . ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٦٧ — ٢٧٢ ، ابن الخطيب ، أعيان الأعلام ، ق ٢ ، ص ٦٩ — ٧٠ ، ابن خلدون ، المغرب ، ج ٤ ، ق ٢ ، ص ٢١٩ ، القرى ، نفع الطيب ، ج ٤ ، ص ٨٨ — ٨٩ ، عنان ، دولة الاسلام ، ق ٢ ، ص ٥٢٩

Levi Provençal, Histoire, Vol. II, P. 215 - 216.

يكن ينفذ له أمر في داره ولا حرمه الا عن أذنه وعلمه ، وجعل متولى قصره من قبله من يثق به ، وصوره عينا على السلطان لا يخفى عليه شيء من حركاته وأخباره» (١) . ولذا بدأ الصدام بين الخلفين والصهرين القديين ، فلم يكن غالب الناصري راضيا عن معاملة ابن أبي عامر للخليفة هشام المؤيد والحجر عليه ، كما كان ابن أبي عامر لا يطيق أن يرى له معارضا ، وأخذ كل منهما يدبر للتخلص من الآخر . ولما كان غالب الناصري يتفوق على ابن أبي عامر في أعمال الفروسية وفنون الحرب والقتال ، رأى أن يستعين عليه بفارس من أعظم فرسان عصره ، فلجأ إلى استدعاء جعفر بن علي بن حمدون المعروف بالأندلسي من العدو (٢) ، وتواترت كتبه إليه تترك حكم المغرب لأخيه يحيى ، وعبر إلى الأندلس بجيشه ، واستوزره محمد بن أبي عامر : « فعظم شأنه وأحله محل الأخ في الثقة ، وقدمه على الكفاة ، فوجد عنده ما أحبه وفوق ما قلره» (٣) . كذلك عمل ابن أبي عامر على الامتكتار من البربر والاحسان

(١) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٧٨ — ٢٧٩ .

(٢) دخل جعفر ويحيى ابن علي بن حمدون الأندلس — كما سبق أن ذكرت — عام ٣٦٠ هـ (٩٧١ م) واستقبلهما الخليفة الحكم المستنصر استقبالاً طيباً . ولما أواخر عام ٣٦٣ هـ (٩٧٤ م) تكب الخليفة المستنصر جعفر ويحيى وكان الخليفة قد اتبع منهما عبيدهما الذين استغفروا من خدمتهما ودفع الثمن إليهما ، وتم فصل العبيد عنهما وصحبهم إلى الخليفة وجنده . وكان لذلك فيما بعد أثر سيء في نفسيهما ، فقبل أنهما تكلمتا في حق الخليفة بما لا يحمد وجاهرا بامتداح الطاطميين سادتهم الأوائل ، ونعى ذلك على الخليفة المستنصر ، فأمر في الحال بالقبض عليهما ، وزجا مكبولين إلى سجن مدينة الزهراء ، ولما في سجنهما بضعة أشهر ، حتى عاد الخليفة ففقا عنهما وأمر بإطلاق سراحهما في شهر رجب ٣٦٤ هـ (٩٧٥ م) فعاد جعفر ويحيى إلى المغرب حيث عقد الحاجب جعفر النصحفي لهما على المغرب باسم الخليفة المستنصر وخلع عليهما خلعا فاخرة وضم إليهما بعض رجالهما ، فلما حدث الخلاف بين ابن أبي عامر وغالب ، سارع ابن أبي عامر إلى استدعاء جعفر بن علي بن حمدون .

راجع : ابن حبان ، انقراض ، تحقيق الحججي ، ص ٤٤ — ٥٦ ، ابن الأبار ، الخلة السواد ، ج ١ ، ص ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٤٢ — ٢٤٣ ، مجهول ، مغاخر البربر ، ص ٨ ، ١٤ .

(٣) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٧٨ — ٢٧٩ .

إليهم والتوسعة عليهم ، فأنشأوا على ابن أبي عامر ، ومازالوا يتلاحقون  
وفرساتهم يتواترون ، يحيى الرجل منهم بلباس الخلق على الاعجف فيبدل به  
لباس الخز الطرازي وغيره ، ويركب الجواد العتيق ، ويسكن قصرا ، لم  
يتصور له في منامه مثله ، حتى صاروا أكثر أجناد الأندلس (١) .

وبات واضحا أن الحرب ستشيب لا عمالة بين غالب الناصري ومحمد  
ابن أبي عامر ، وقد عزم غالب على التخلص من ابن أبي عامر ، ولم يكن في  
الامكان تحقيق ذلك الا بطريق المصانعة ، فدعاه أثناء غزوه بالعصافة في أراضي  
قشتالة ، كان قد خرج إليها من قرطبة يوم الجمعة الثالث عشر من رمضان  
٦٣٩ هـ ( الثاني من أبريل سنة ٩٨٠ م ) إلى ولجة أقامها له بمدينة أنتيسة من  
الشعر ، فلما سعد ابن أبي عامر في قلبه من أصحابه إلى القلعة انفرد به غالب ،  
وأخذ في عتابه ، ثم كثر عليه بسيفه ، فأصابه بجراح أبانت بعض أنامله وأثرت  
أثرا كبيرا في صدغه ، إلا أن ابن أبي عامر تمكن من الفرار بفرسه من أعلى  
القلعة ، وامتنع غالب بها ، بينما سار ابن أبي عامر إلى مدينة سالم حيث دار  
غالب وأولاده ، وكانت أخبار الصدام بينهما قد وصلت إليها ، فقام كاتب  
غالب بتسليمها إليه ، فاستولى عليها وعلى جميع ما كان لغالب بها من أموال  
وذخائر ، وفرقها على جيشه ، ثم عاد إلى قرطبة فوصلها يوم التاسع من ذي  
القعدة سنة ٣٦٩ هـ ( السابع والعشرين من مايو ٩٨٠ م ) (٢) .

وقد أورد صاحب الخلة السوء نصا على جانب كبير من الأهمية ، إذ أشار  
إلى أن الخليفة هشام المؤيد ، منح عبد الله بن عبد العزيز بن محمد  
ابن عبدالعزيز بن أمية بن الحكم الرضوي لقب الأمانة ، وفوض إليه أمر  
طنيطلة ، وقلده إياها مع الوزارة ، وسد به الشعر : « فاستقل بمقاومة غالب أيام  
فتته ، حتى دعاه إلى القيام بالخلافة » (٣) . وهذا النص يشير إلى نقطتين هامتين

(١) ابن سبويه ، الفصل السابق ، ص ٢٧٩ .

(٢) العنزي ، نزهة الأخبار ، ص ٧٦ ، ابن الخفيف ، أعيان الأعلام ، ج ٢ ، ص ٧١ ، عيان ،  
دولة الإسلام ، ج ٢ ، ص ٥٣٨ .

(٣) ابن الأثير ، الخلة السوء ، ج ١ ، ص ٢١٥ - ٢١٦ .

أولهما : أن الخليفة هشام المؤيد — بتحريض فيما يبدو من محمد ابن أبي عامر — قد أصدر مرسوما بعزل غالب الناصري عن الثغر الأوسط وولاه لأحد أفراد الأسرة الأموية وجعل مركزه طليطلة وعهد إليه بقتال غالب الناصري . وثانيهما أن غالبا — وقد يس من موقف هشام المؤيد — قد خلع طاعته ، ودعا هذا الأمر الأموي إلى الخلافة .

حشد غالب الناصري حشوده لقتال محمد بن أبي عامر ، كما استعان براميرو الثالث ملك ليون ، فأمدته ببعض قواته . وفي نفس الوقت سار ابن عامر ونزل بمحصن شنت بجنت SAN vicente بالقرب من انتيسه يوم الخميس الثاني من المحرم سنة ٣٧١ هـ ( الثامن من يوليو سنة ٩٨١ م ) ، فبرز له غالب ، وكان ابن أبي عامر قد عبأ عسكره أحسن تعبئة ، فصار في القلب مع جند الحضرة ، وجعفر بن علي بن حمدون مع البربر في الميمنة ، وأبا الاحوص مع ابن عبد العزيز التجيبي ، وحسن بن أحمد بن عبد الودود في معظم أهل الثغور في اليسرة ، وقد استمرت المناوشات بين الجيشين طوال يومى الخميس والجمعة ، إلى أن وقع القتال صباح يوم السبت الرابع من المحرم سنة ٣٧١ هـ ، ( العاشر من يوليو سنة ٩٨١ م ) ، وتقدم غالب ، وكان قد قارب الثمانين من عمره ، فحمل على ميمنة جيش ابن أبي عامر قدمرها تماما ، ثم تحول إلى اليسرة ، والحق بها ما الحقه بالميمنة ، ولم يتبق سوى القلب وبه ابن أبي عامر ، وقد أيقن بالهلاك وعقد غالب اجتماعا لقواده وقال لهم : « كيف ترون عاقبة الصبر ؟ قد كسرنا جناحى القوم ، وبقي القلب ، وإنما ثبت من فيه حياء من هذا الأحدث الملعون — يعنى ابن أبي عامر — وليسوا ذوى حفاظ فما أخلقهم بإسلامه ، فأصدقوا الحملة ، عسى الله أن يمكن منهم بقدرته ، ثم رفع يديه وقال : « اللهم ان كنت تعلم ان بقاءى أصلح للمسلمين وأعود عليهم من بقاء محمد بن أبي عامر فاهلكه وأنصرنى عليه ، وان كان هو أولى بذلك منى فانصره على وأرحنى »<sup>(١)</sup> . وما كاد يتم حديثه ، حتى ترك

(١) ابن حزم ، مَقَطُ المروس ، ص ٨١ — ٨٢ ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ق ٢ ، ص ٧٣ .

ميدان القتال واتجه إلى خندق إلى جانب معسكره ، فظن أصحابه أنه يريد أن يأخذ قسما من الراحة ، فلم يتبعه أحد فلما أبطأ عليهم ركبت طائفة منهم نحوه ، فوجدوه قد سقط على الأرض ميتا ، وقد فارق الحياة بلا ضربة ولا طعنة ولا رمية ، وفرسه واقف بعنق لجامه ، ولا يعلم أحد بسبب موته ، غير أن البعض قال أن قربوس سرجه ضربه ، فأصاب قلبه فمات في الحال . وأسرع أحد أصحاب غالب إلى محمد بن أبي عامر يبشره بمقتل غالب ، فلم يصدقه حتى جرى له يده وفيها خاتمه ، ثم جرى برأسه ، فخر ابن أبي عامر ساجدا ، وكبر المسلمون تكبيرا خلع قلوب النصارى الذين كانوا في عسكر غالب ، وولوا وجوههم مديرين ، فطاردهم قوات ابن أبي عامر ، وقتلوا منهم عددا كبيرا ، وكان من بين القتل وذمير بن شائجة وتسمية المصادر العربية « رى قرجة » ، وقام ابن أبي عامر بسلخ جلد غالب ، وحشى قطننا وصلب على باب قصر الخلافة بقرطبة ، بينما صلب رأسه على باب مدينة الزاهرة ، وظلت رأسه على تلك الحال إلى أن أنزلت يوم هدم الزاهرة في سنة ٣٩٩ هـ ( ١٠٠٨ م )<sup>(١)</sup> .

بمقتل غالب بن عبد الرحمن الناصري فقدت دولة الاسلام في الأندلس ، قائدا من أعظم قوادها سواء في مجال الجهاد البرى أو البحرى ، لعب دورا هاما في أحداث التاريخ الإسلامى سواء في الأندلس أو في المغرب في فترة من أزهى فترات الوجود الإسلامى في الأندلس ، قبل أن يصيب هذا الوجود الضعف والاضمحلال الذى أدى إلى سقوط الخلافة الأموية في قرطبة عام ٤٢٢ هـ ( ١٠٣١ م ) ، كما أن مقتل غالب قد فتح باب المجد أمام محمد بن أبي عامر ، إذ سيطر على مقاليد الأمور وأصبح أعظم شخصيات العصر في الأندلس .

(١) عن مقتل غالب الناصرى راجع : ابن حزم ، نطق العروس ، ص ٨٢ ، ابن عفرى ، البيان المغرب ، ج ٤٢ ص ٢٧٩ ، ابن الخطيب ، أعيان الأعلام ، ق ٢ ، ص ٧٣ - ٧٤ ، ابن خلدون ، العبر ، ج ٤ ، ص ٣١٩ ، المقرئ ، نفع الطيب ، ج ٤ ، ص ٩١ ، عنان ، دولة الاسلام ، ق ٢ ، ص ٥٣٩ - ٥٤٠ .

Dozy, Histoire, Vol. II, P. 242 - 243; Levi provençal, Histoire, Vol. II, P. 226 - 228.

## أولاً - المصادر العربية

ابن الآبار ( أبو عبد الله محمد بن عبد الله الفضاى )

ت ٦٥٨ هـ ( ١٢٦٠ م )

الحلة السراء

تحقيق الدكتور حسين مؤنس ، فى جزئين الطبعة الأولى ،

القاهرة ، ١٩٦٣ م .

ابن أفى زرع ( أبو الحسن على بن عبد الله الفاسى )

ت ٧٢٦ هـ ( ١٣٢٥ م )

الأبىس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ

مدينة فاس ،

المطبعة الفاسية ، ١٣٠٥ هـ .

ابن الأثير ( أبو الحسن على بن أحمد بن أبى الكرم )

ت ٦٣٠ هـ ( ١٢٣٣ م )

الكامل فى التاريخ

طبعة بيروت ، اثنا عشر جزءاً ، ٦٥ - ١٩٦٧ م .

الأدرىسى ( الشريف أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز )

ت حوالى ٥٤٨ هـ ( ١١٥٥ م )

صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس

مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق فى اختراق الافاق

تحقيق دى غوية ودوزى ، ليدن ١٨٦٤ م .

ابن بىسام ( أبو الحسن على الشترىنى )

ت ٥٤٣ هـ ( ١١٤٧ م )

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة  
تحقيق الدكتور احسان عباس ، بيروت ، ١٩٧٩ م .

ابن حزم ( أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد )

ت ٤٥٦ هـ ( ١٠٦٤ م )

— جمهرة انساب العرب

تحقيق وتعليق عبد السلام محمد هارون

نشر دار المعارف بمصر ، الطبعة الخامسة ، ١٩٨٢ م .

— نقط العروس في تواريخ الخلفاء ، تحقيق د . شوق ضيف ،

نشر بمجلة كلية الآداب جامعة القاهرة ، المجلد الثالث عشر ،

الجزء الثاني ، ديسمبر ١٩٥١ م .

الحميري ( أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم الصنهاجي )

توفي بعد سنة ٨٦٦ هـ ( ١٤٦١ م )

صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر  
الأقطار .

نشر وتحقيق ليفي بروفسال ، القاهرة ، ١٩٣٧ م .

ابن حيان ( أبو مروان حيان بن خلف بن حيان القرطبي )

ت ٤٦٩ هـ ( ١٠٧٩ م )

— المقتبس في تاريخ رجال الأندلس ، اعتنى بنشره الاب مشور  
أنطونية ، باريس ، ١٩٣٧ م .

— المقتبس في أخبار بلد الأندلس

نشره وحققه الدكتور عبد الرحمن الحججي ، بيروت ، دار  
الثقافة ، ١٩٦٥ م

— المقتبس من أبناء أهل الأندلس ، حققه وقدم له وعلق عليه

الدكتور محمود علي مكى ، دار الكتاب العربي ، بيروت ،

١٩٧٣ م .

— المقنن ، أعتنى بنشره الدكتور بدور شاليتا ، والدكتور  
كورنيطي والدكتور محمود صبح ، نشر المعهد الأسباني  
العربي للثقافة بالاشتراك مع كلية الآداب بالرباط ، مدريد ،  
١٩٧٩ م .

ابن خاقان ( أبو النصر الفتح بن محمد )

ت ٥٣٥ هـ ( ١١٣٤ م ) .

مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس ،  
طبعة قسنطينة ، ١٣٠٢ هـ .

ابن الخطيب ( لسان الدين أبو عبد الله محمد ) :

ت ٧٧٦ هـ ( ١٣٧٤ م )

— أعمال الأعلام فيمن بويغ قبل الاحتلام من ملوك الاسلام ،  
الجزء الخاص بالأندلس ، تحقيق ليفي بروفنسال ، الرباط ،  
١٩٣٤ م

— أعمال الأعلام فيمن بويغ قبل الاحتلام من ملوك الاسلام ،  
الجزء الخاص بالمغرب ، تحقيق الدكتور أحمد مختار العادي  
والأستاذ محمد ابراهيم الكتاني ، الدار البيضاء ، المغرب ،  
١٩٦٤ م .

— الاحاطة في أخبار غرناطة

نشر وتحقيق الأستاذ محمد عبد الله عنان ، أربعة مجلدات ،  
القاهرة ، ١٩٧٣ — ١٩٧٩ م .

ابن خلدون ( عبد الرحمن بن محمد )

ت ٨٠٨ هـ ( ١٤٠٥ م )

كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر  
ومن عاصروهم من ذوى السلطان الأكبر ، بيروت ، ١٩٦٥ م .

ابن سعيد المغربي ( أبو الحسن علي بن موسى )

ت ٦٨٥ هـ ( ١٢٨٦ م )

المغرب في حلى المغرب

تحقيق الدكتور شوقي ضيف ، في جزئين ، دار المعارف —

القاهرة ، ١٩٥٣ — ١٩٥٥ م .

السلوى ( أبو العباس أحمد بن خالد )

ت ١٣١٥ هـ ( ١٨٩٧ م )

— الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى تحقيق جعفر الناصري

وعمد الناصري ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، ١٩٥٤ م

ابن عذارى ( أبو عبد الله محمد المراكشي )

ت بعد عام ٧١٢ هـ ( ١٢١٢ م )

البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب

نشر كولان ليفي بروفسال ، دار الثقافة ،

بيروت ، بدون تاريخ

العذري ( أبو العباس أحمد بن عمر بن أنس المعروف بابن الدلائق )

ت ٤٧٨ هـ ( ١٠٨٨ م )

— نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار

والبستان في غرائب البلدان والممالك إلى جميع الممالك ،

تحقيق الدكتور عبد العزيز الأهواني ، مطبعة معهد الدراسات

الاسلامية ، مدريد ، ١٩٦٥ م .

أبو الفدا ( الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل )

المختصر في أخبار البشر ، جزآن ، ط ١ ، المطبعة الحسينية

المصرية ، القاهرة ، ( بدون تاريخ ) .

المقرئى ( تقى الدين أحمد بن على بن عبد القادر بن محمد )

ت ٨٤٥ هـ ( ١٤٤١ م )

أتماظ الحنفا بأخبار الائمة الفاطميين الخلفا ، الجزء الأول تحقيق

د . جمال الدين الشيال ، القاهرة ، ١٩٤٨ م .

المقرئى ( أحمد بن محمد التلمالى )

ت ١٠٤١ هـ ( ١٦٣١ م )

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين

بن الخطيب . حققه وضبط غرائبه وعلق على حواشيه محمد محبى

الدين عبد الحميد فى عشرة أجزاء ، القاهرة ، ١٩٤٩ م .

مؤلف مجهول :

أخبار مجموعة فى فتح الأندلس وذكر امرائها رحمهم الله والحروب

الواقعة بها بينهم ، نشره دون لافوتى ، القنطرة فى مجموعة Obras

Arabigas ، مدريد ، ١٨٦٧ م .

مؤلف مجهول :

نبد تاريخية فى أخبار البربر فى القرون الوسطى منتخبة من المجموع

المسمى بكتاب مفاخر البربر ، أعنتى بنشرها وتصحيحها ، لطفى

بروفنسال ، الرباط ، ١٩٣٤ م .

مؤلف مجهول :

الاستبصار فى عجائب الأمصار ، وصف مكة والمدينة ومصر

وبلاد المغرب والسودان مؤلف فى القرن السادس الهجرى ، تحقيق

د . سعد زغلول عبد الحميد ، مطبوعات جامعة الاسكندرية

١٩٥٨ م .

مؤلف مجهول :

ذكر بلاد الأندلس

نشر وتحقيق لويس مولينا ، مدريد ١٩٨٢ م .

النويرى ( أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدام البكرى التميمى  
القرشى )

ت ٧٣٢ هـ ( ١٣٣٢ م )

نهاية الأرب فى فنون الأدب ، الجزء الثالث والعشرين ، نشر  
جاسبار راميرو ، غرناطة ، ١٩١٦ - ١٩١٧ م .

ياقوت ( شهاب الدين أبو عبد الله الحموى ، الرومى ، البغدادى )

معجم البلدان ، خمسة أجزاء ، نشر دار صادر ودار بيروت ،  
١٣٧٤ - ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٥ - ١٩٥٧ م .

### ثانيا : المراجع العربية

سالم ( د . السيد عبد العزيز ) :

— تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس

( من الفتح العربى حتى سقوط الخلافة بقرطبة ) ،

طبعة بيروت ، ١٩٦٢ م .

— المغرب الكبير ، الجزء الثانى ( العصر الإسلامى )

طبعة الاسكندرية ، ١٩٦٦ م

— تاريخ البحرية الإسلامية فى المغرب والأندلس بالاشتراك مع

د . أحمد مختار العبادى ، طبعة بيروت ، ١٩٧٢ م .

— قرطبة حاضرة الخلافة فى الأندلس

( دراسة تاريخية — عمرانية — أثرية فى العصر الإسلامى )

الجزء الأول ، بيروت ، ١٩٧١ م .

الجزء الثاني ، بيروت ، ١٩٧٢ م .

— تاريخ مدينة المرية الاسلامية .

طبعة الاسكندرية ، ١٩٨٤ م .

العبادي ( د . أحمد مختار ) :

في تاريخ المغرب والأندلس ، طبعة الاسكندرية ، ١٩٧٤ م .

عنان ( الأستاذ محمد عبد الله ) :

— دولة الاسلام في الأندلس ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ،

١٩٦٠ م .

مكي ( د . محمود علي )

— أسرة بني العنبي القرطيين ومصرع أبي مروان الطنجي

مجلة كلية الآداب والتربية — جامعة الكويت ، العدد

الثامن ، ديسمبر ١٩٧٥ م .

— مدريد العربية

نشر المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ( بدون

تاريخ ) .

مورينو ( جومث ) :

الفن الاسلامي في آسيايا .

ترجمة د . لطفى عبد البديع ود . السيد عبد العزيز سالم ، طبعة

القاهرة ، ١٩٥٨ م .

مؤنس ( د . حسين ) :

— فجر الأندلس .

( دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الاسلامي إلى قيام الدولة

الأموية ٧١١ — ٧٥٦ م ) .

— غارات النورماندين على الأندلس بين سنتي ٢٢٩ هـ ، ٢٤٥ هـ

المجلة التاريخية المصرية ، العدد الأول ، المجلد الثاني ، مايو  
١٩٤٩ م .

— معالم تاريخ المغرب والأندلس .  
الاسكندرية ، ١٩٨٣ م .

## ثالثا : المراجع الأروية الحديثة

- Aguado Bleye  
Manuel de la Historia de Espana; T.L.  
Madrid, 1947.
- Dozy ( R. ) :  
Histoire des Musulmans d'Espagne, edition,  
Leiden, 1932.
- Garcia Gomez ( Emilio )  
Al. Hakam II y Los Berberes,  
Al-Andalus, Vol. XIII, 1948.
- Levi provençal.  
- L'Espagne Musulmane au xe siecle, paris, 1932.
- La política Africana de ABD al-Rahman III,  
Al-Andalus, Vol, XI, Fasc, 2, 1946.
- Histoire de L'Espagne Musulmane, 3 Vols, Leiden, 1950.